مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 11 العدد 01 السنة 2010 ص ص 31-80

النقد التاريخي عند الحافظ الذّهبي
دراسة نموذجية لحادثة الراهب بحيرى في كتابه "تاريخ الإسلام"

أ.ة/ أمينة سليمة صاري [1]
[1] جامعة الجزائر 2

مقدمة:

يزخر التّاريخ الإسلامي بأسماء العلماء، والمؤرّخين، الذين رفعوا من شأن العلوم، وكانوا فوانيس تنير درب أممهم، فساهموا في تطوّر مختلف العلوم، من علوم دين، كفقه، وتفسير، وحديث، وعلوم عقليّة، من طبّ وحساب، وفلك، إضافة إلى اهتمامهم بالتّاريخ والسّير، والمغازي، واعتنوا بالتأليف في مختلف المجالات، فكانت كتاباتهم متنوّعة من حيث الكمّ والنّوعيّة.

ولم يكن هؤلاء مجرّد آلات لنقل المعلومات، وتكرارها، وإنّما كانوا محلّلين، وناقدين ممتازين، ومن هنا يبدوا لنا اهتمامهم بالنّقد التّاريخي، الذي يعتبر من أكبر الأدلّة على تطوّر وازدهار الفكر الإسلامي في تلك الفترة.

ومن بين العلماء الذين اهتمّوا بالنّقد التّاريخي، الحافظ شمس الدّين الذّهبي، فمن هو الحافظ الذّهبي، وما هي مكانته العلميّة، وما هي

خصائص النّقد التّاريخي عنده؟ من خلال نموذج حادثة الرّاهب بحيرى، التي حدثت مع الرّسول صلّى الله عليه وسلّم؟

أولا. التّعريف بالإمام الذّهبي:

1. نسبه ومولده:

هو شمس الدّين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التّركماني الفارقي أصلا، الدّمشقي مولدا، الشّافعي مذهبا، المعروف بالذّهبي[1]، فهو من أصل تركماني، ينتمي بالولاء إلى بني تميم[2]، سكنت أسرته مدينة مَيَّافَارقِين [3] بديار بكر[4]، سكنها جدّه قايماز[5] بن عبد الله (ت 661هـ/1262م)، ثمّ انتقل منها جدّه فخر الدّين أبو أحمد عثمان[6]، إلى دمشق، وسكن بها واتخذ من النّجارة حرفة له إلى أن توفّي بدمشق سنة (683هـ/1284م) [7].

ولد والده شهاب الدّين أحمد سنة (641هـ/1243م) تقريبا، وكان مهتما بالعلم، سمع صحيح البخاري سنة (666هـ/1267م) [8] عن المقداد بن أبي القاسم القيسي الدمشقي[9]، وأجاز له تقي الدّين بن أبي اليسر[10]، وجمال الدّين بن مالك[11]، وسمع من التّاج عبد الخالق[12] ببعلبك، وزينب بنت الكندي[13].

غير صنعة أبيه من النّجارة إلى صنعة الذّهب المدقوق، ولذا اشتهر ابنه بـ" ابن الذّهبي"، ثمّ بالذّهبي لاشتغاله بها في أوّل أمره، وقد برع شهاب الدّين في هذه الصّنعة، وحسن حاله[14]، فتزوّج ابنة رجل غني يعرف بعلم الدّين أبي بكر سنجر بن عبد الله الموصلي الأصل، وقد حجّ في أواخر عمره وكانت وفاته في (آخر جمادى الأولى 697هـ/ 1297م)[15].

و بالإضافة إلى المكانة الّتي احتلّتها أسرة الذّهبي من جهة أبيه، كان لأسرته من جهة أمّه هي الأخرى مكانتها، وأهم أفرادها، جدّه لأمّه علم الدّين أبو بكر سُنْجُر بن عبد الله الموصلي - السّابق الذّكر- المتوفّى سنة (680هـ/ 1281م) [16].

وقد اعتني خاله أيضا بالعلم وهو أبو إسماعيل علي بن سُنْجر بن عبد الله الموصلي الدمشقي الذّهبي، ولد سنة (658هـ/1260م)، سمع من عدد من الشّيوخ، منهم نجم الدّين ابن الخبّاز[17]، وبهاء الدّين أيّوب الحنفي[18]، وست العرب الكنديّة[19]، وكانت وفاته في (23 رمضان 736هـ/1335م) [20].

وكان زوج خالته فاطمة، أحمد بن عبد الغني بن عبد الكافي الأنصاري الذّهبي، المعروف بابن الحرستاني، حافظا للقرآن كثير التّلاوة، سمع من أبي عمرو عثمان بن خطيب[21] القرافة[22]، والعماد بن الحرستاني، توفّي بمصر سنة (700هـ/1300م) [23].

وفي وسط هذه الأسرة، ولد الحافظ شمس الدّين الذّهبي في شهر (ربيع الآخر[24] سنة 673هـ/1274م)، وقيل في ذي القعدة، بكَفَرَ بَطْنَا[25] من غوطة[26] دمشق، فأرضته عمّته أمّ محمّد ستّ الأهل بنت عثمان بن قايماز، وكانت هي الأخرى على قدر كبير من العلم، فقد أجاز لها تقي الدّين بن أبي اليسر، وزهير بن عمر الزرعي، وجمال الدّين بن مالك، وغيرهم، توفّيت في (شعبان 729هـ/1328م)، وكان مولدها في (ذي القعدة 653هـ/1255م) [27].

2. نشأته وطلبه للعلم:

تربّى الذّهبي في جوّ هذه الأسرة، فرعاه جدّه عثمان بن قايماز في طفولته، فنجده يعتني بحسن نطقه، إذ ذكر الذّهبي في معجم الشّيوخ عند ترجمته لجدّه ما نصّه: "... وكان- رحمه الله - يُدَمِّيني في النطق بالراءِ فيقول: قُلْ: "جَرَّة بَرًّا جرّة جَوّا"..."[28]، كما جالس خاله علي بن سُنْجُر[29].

وقد كان لعائلته اهتمام خاص به وبتعليمه، فنجد أخاه من الرّضاعة أبا الحسن علي بن إبراهيم بن العطّار[30]، يستجيز له في سنة مولده جملة من مشايخ عصره، من دمشق ومن خارجها[31]، ومنهم الشّيخ أمين الدّين بن عساكر[32]، وجمال الدين بن الصيرفي[33]، ومحمّد بن علي ابن الصّابوني[34]، وأبو العباس أحمد بن عبد القادر العامري[35]، والشّيخ أحمد بن أبي الخير[36]، وإبراهيم ابن الدرجي[37]، وابن أبي اليسر، والمسلم ابن علان[38]، وابن أبي عمرو الفخر، وأحمد بن محمّد ابن النّصبي[39]، وو كافور بن عبد الله الطواشي[40]، وغيرهم، وعندما بلغ الثّانية من عمره، كتب إليه إمام مسجد الصّخرة ببيت المقدس، محمّد بن عبد الله[41]، بالإجازة[42].

وبعد هذا نجد الذّهبي يلتحق بالكتاتيب، فيقيم أربع سنوات في مكتب الشّيخ علي بن محمّد البُصْبُصْ[43]، ويبدوا أنّه كان سنة (682هـ/ 1283م) لا يزال بالمكتب، بدليل أنّ الذّهبي في ترجمته لشيخه، يورد أبيات شعر للحريري، أنشدها لهم الشّيخ في هذه السّنة[44]، ثمّ توجّه الذّهبي إلى تلقي القرآن، فختمه حوالي أربعين ختمة عند شيخه مسعود بن عبد الله المقرئ[45]، وعندما قدم الشّيخ عز الدّين الفاروثي[46]،

من علماء العراق إلى دمشق، في الفترة مابين (690-691هـ/1291-1292م)، سلّم عليه الذّهبي، وحدّثه، لكنّه لم يأخذ عنه شيئا[47].

وحين بلغ الذّهبي الثّامنة عشر من عمره، اهتمّ بالقراءات، وبالحديث الشّريف، فسعى للأخذ من كبار المشايخ في هذين العلمين، ففي القراءات، أخذ عن الشّيخ أبي عبد الله بن جبريل المصري، نزيل دمشق[48]، وفي سنة (691هـ/1292م)، التحق بالشّيخ أبي إسحاق إبراهيم بن داود العسقلاني الفاضلي[49]، كما التحق في نفس السنة بحلقة الشّيخ إبراهيم بن غالي[50]، فأخذ عليه أيضا كتاب الجمع الكبير[51].

وأخذ الذّهبي القراءات أيضا عن جملة من الشّيوخ، منهم مجد الدّين أبو بكر بن محمّد المرسي[52]، وشيخ الإقراء ببعلبك موفّق الدّين بن أبي العلاء، سنة (693هـ/1294م)[53]، وأبي عبد الله محمّد بن منصور الحلبي[54]، وأبي حفص عمر ابن القوّاس[55]، الشّيء الذي جعله يتقن القراءات ويتميّز فيها، ممّا جعل شيخه شمس الدّين أبا عبد الله محمّد بن عبد العزيز الدّمياطي[56]، يتنازل له عن حلقته للإقراء في الجامع الأموي بدمشق ما بين سنة (692-693هـ/1293-1294م)، وقد كان هذا أوّل منصب علمي[57] يتولاّه الذّهبي وإن لم يدم فيه طويلا[58].

أمّا فيما يتعلّق بالحديث، فقد انشغل به في نفس الفترة التي كان فيها يتلقّى تعليمه في القراءات، واهتمّ به وبجمعه لدرجة جعلته دائم الانشغال به طوال حياته، فسعى لأخذ الأحاديث من العديد من المشايخ[59].

وقد سعى الذّهبي إلى طلب العلم من خارج دمشق، أي الرّحلة في طلب العلم، لكنّه لم يتمكّن من ذلك بسبب منع والده له من الارتحال، فنجده يتحسّر على الرّحلة في ترجمته لعدد من المشايخ الذين لم يتمكّن من لقياهم لهذا السّبب، ومن ذلك حين ترجم للشّيخ أبي الفرج عبد الرّحمن البغدادي[60]، والشّيخ المكين الأسمر المقرئ الإسكندراني[61].

وحين بلغ العشرين من عمره سمح له والده بالرّحلة، على شرط ألاّ يقيم في رحلته أكثر من أربعة أشهر في الأغلب، وأن يصحبه فيها من يعتمد عليهم، وكان ذلك ابتداء من سنة (693هـ/1294م)[62]، وقد تكون أوّل رحلة له هي التي ذهب فيها إلى بعلبك للقاء الشّيخ موفّق الدّين بن أبي العلاء في السّنة المذكورة آنفا[63]، أمّا فيما يخصّ المدّة التّي ألزمه بها والده، فنستدلّ عليها، بما أورده في تعريفه لشيخه شرف الدّين يحيى الجذامي الإسكندراني[64]، إذ واجهته بعض الصّعوبات في الأخذ عنه[65] فخشي أن يضيع وقته، وممّا قاله:" ... كنت لا أدخل عليه إلا بمشقّة، وأُمنع مرة، ويؤذن لي مرة ... وكنت قد وعدت أبي وحلفت له أني لا أقيم في الرّحلة أكثر من أربعة أشهر، فخفت أعقه"[66].

أمّا فيما يتعلّق بالصّحبة التّي كانت ترافقه في رحلاته، وسماعه من الشّيوخ فنجد أنّه عند سماعه من شيوخ دمشق، يتحدّث خاصّة عن رفيقه شمس الدّين ابن غدير[67]، وغيره، ومن أبرز أصحابه ورفقائه، ثلاثة من أبرز شيوخ عصره، هم جمال الدّين يوسف المزي الشّافعي[68]، وتقي الدّين أحمد بن تيميّة[69]، وعلم الدّين القاسم البرزالي[70]، وكان هو أصغرهم سنّا[71].

وكغيره من العلماء قصد الذّهبي العديد من الأماكن والمدن في بلاد الشام منها بعلبك، فأخذ منها بالإضافة إلى الشّيخ الموفّق، من الشّيخ أبي محمّد تاج الدّين المغربي البعلبكي[72]، وزار حلب فأخذ فيها عن الشّيخ علاء الدّين سنقر الأرمني[73]، وزار كلاّ من حمص، حماه، طرابلس، الكرك، المعرّة، بصرى، نابلس، الرّملة، القدس، وتبوك[74].

وبالإضافة إلى الشّام، رحل الذّهبي إلى مصر[75]، وزار العديد من مدنها، منها الإسكندريّة، وبلبيس[76]، فأخذ عن الشّيخ جمال الدّين أحمد المعروف بابن الظّاهري[77]، والشّيخ أبي المعالي أحمد الأبرقوهي[78]، وتقي الدّين ابن دقيق العيد القشيري[79]، وشرف الدّين عبد المؤمن الدمياطي[80]، والشّيخ شرف الدّين الجذامي الإسكندراني[81]، وتاج الدّين علي الواسطي الغرافي[82].

وفي سنة (698هـ/1298م)، ارتحل الذّهبي من دمشق، لأداء فريضة الحجّ، وكان ذلك بعد وفاة أبيه في نفس السّنة، رافقه في هذه الرّحلة جماعة من العلماء، منهم أبو عبد الله محمّد بن الخرّاط[83]، فسمع منه الذّهبي في أثناء الرّحلة، وفي خضمّ الرّحلة أيضا، سمع الذّهبي من عدد من المشايخ في كلّ من مكّة فأخذ بها من الشّيخ فخر الدّين التّوزري[84]، وفي عرفة، منى، والمدينة[85].

ولم يقتصر اهتمام الذّهبي، على القراءات والحديث فقط، بل نوّع معارفه، بعلوم شتّى، كالنّحو، ومختلف فنون العربيّة، وكان له اهتمام أيضا بسماع الكتب التّاريخيّة من مغازي، وسير، ومعاجم الشّيوخ، وقد أهّله هذا كلّه للدّخول في الحياة العمليّة[86]، وبداية سنوات العطاء والتّأليف، مع الأخذ المستمرّ، إذ لم ينقطع طوال حياته

عن السّماع والدّراسة، وعلى العموم فقد بلغ عدد شيوخه أزيد من ألف ومائتي شيخ، بالسّماع والإجازة[87].

أمّا بالنّسبة لتلامذته، فقد أخذ عنه الكثير، إذ أقام بدمشق وكان الطّلبة يأتون إليه لأخذ العلم[88]، ومن تلامذته الشّهاب أحمد بن إبراهيم المنبجي الطّحّان[89]، ومحمّد بن أحمد بن اللّبّان[90]، وصلاح الدّين خليل الصفدي[91]، وتاج الدين عبد الوهّاب السبكي[92]، وتقي الدين بن رافع السلامي[93]، وابن كثير[94]، وابن رجب[95]، وأبو عبد الله محمّد بن عبد الكريم الموصلي[96]، وغيرهم من التّلاميذ[97].

و في ليلة[98] الاثنين (3 ذي القعدة من سنة 748هـ[99]/ 1347م)، توفّي الحافظ شمس الدّين الذّهبي[100]، بتربة أمّ الصّالح بدمشق، وصلّي عليه بهد صلاة الظّهر من يوم الاثنين، ودفن بمقبرة الباب الصّغير بدمشق[101].

ثانيا. مكانة الذّهبي العلميّة وخصائص النّقد التّاريخي عنده:

1. مكانته العلميّة:

بلغ الذّهبي مرتبة كبيرة من العلم، نتيجة لطلبه له في مختلف المناطق، وسماعه من عدد كبير من الشّيوخ والعلماء، حتّى ارتقى وصار يحتل مكانة عالية بين أقرانه من علماء عصره، فكان من كبار الحفّاظ المحدّثين، والمؤرّخين، وقد تظهر مكانته العلميّة من جهة في الكم الهائل من الكتب والمؤلّفات التّي تركها، ومن جهة أخرى في آراء غيره من الكتّاب والمؤرّخين فيه.

فقد اهتمّ الذّهبي بالتّأليف في مختلف العلوم، من علوم الدّين بما فيها من حديث وقراءات، وعقائد، ففي القراءات له، كتاب: "التّلويحات في علم القراءات" وفي الحديث، له مثلا: "طرق حديث

الرّحمة"، "المستدرك على مستدرك الحاكم"، و"الأربعون البلدانية"، وكتاب "طرق حديث: من كنت مولاه فعلي مولاه"[102].

وفي مصطلح الحديث: له "العذب السلسل في الحديث المسلسل"، وفي العقائد له: "الأربعين في صفات ربّ العالمين"، "الرّسالة الذّهبيّة إلى ابن تيميّة"، وفي الفقه له: "جزء في صلاة التّسبيح"، "حقوق الجار"، "كتاب اللّباس"، وفي أصول الفقه له: كتاب "مسألة الاجتهاد"، وكتاب "مسألة خبر الواحد"، وفي الرّقائق له: "جزء في محبّة الصّالحين"، "التّعزية الحسنة بالأعزّة"، "كشف الكربة عند فقد الأحبّة"[103].

كما اهتمّ بالتّأليف في المختصرات والمنتقيات، ومن كتبه فيها: "تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرّجال"[104]، ولعلّ كتبه في مجال التّاريخ والسّير هي الأكثر شهرة بين كتبه، فقد ألّف في هذا الباب مثلا: كتاب " أخبار السّد"، "أخبار قضاة دمشق"، "أسماء الرّواة عن مالك"، "أسماء الضّعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وأناس ثقات فيهم لين"، "أسماء شيوخ الحديث"، "أخبار من عاش ثمانين سنة"، "الإعلام بوفيات الأعلام"، "الأمصار ذوات الآثار"، "أهل المئة فصاعدا"، "تاريخ الإسلام"، "تجريد الحفّاظ"، "تذكرة الحفّاظ"، "تسمية رجال صحيح مسلم"، "دول الإسلام"، "ديوان الضّعفاء والمتروكين"، "سير أعلام النّبلاء"، "العبر في خبر من غبر"، "معرفة القرّاء الكبار"، "رجال الصّحيحين"، "كتاب الزّلازل"، "طبقات علماء مصر"، "طبقات الشّيوخ"، "معجم الشّيوخ"، "المغني في الضّعفاء"، "ميزان الاعتدال في

نقد الرّجال"، "أخبار أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها"، وغيرها من الكتب بما يزيد عن ثلاثمائة كتاب[105].

أمّا فيما يتعلّق بآراء غيره فيه، فنجد أنّ عددا من المؤرخين ورجال عصره، وحتّى من جاء بعده، قد ذكروه في مصنفاتهم، ووصفوه بأحسن الصّفات، وأجلّها، مبرزين القدر الكبير من العلم الذي كان يتميّز به، فنجد السّيوطي[106] في كتابه " طبقات الحفّاظ" يقول عنه :" الذهبي الإمام الحافظ محدث العصر وخاتمة الحفاظ ومؤرخ الإسلام وفرد الدّهر والقائم بأعباء هذه الصناعة ..." [107].

ووصفه تلميذه الحافظ ابن كثير في كتابه "البداية والنّهاية "، حين تحدّث عن وفاته : "... توفي الشيخ الحافظ الكبير، مؤرخ الإسلام، وشيخ المحدثين، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي ... وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه رحمه الله "[108].

وحكي عن الحافظ ابن حجر العسقلاني[109] أنّه ذهب إلى ماء زمزم وشرب منه ليصل إلى مرتبة الذّهبي في الحفظ[110].

أمّا عن الحافظ تاج الدّين السّبكي[111]، فقد عدّه من كبار الحفّاظ في عصره، إذ قال عنه في كتابه " طبقات الشّافعيّة الكبرى" ما نصّه:" ... شيخنا وأستاذنا الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله التّركماني الذهبي محدث العصر، اشتمل عصرنا على أربعة من الحفاظ بينهم عموم وخصوص المزي والبرزالي والذهبي والشيخ الإمام الوالد لا خامس لهؤلاء في عصرهم..."[112].

وقال عنه في موضع آخر من نفس الكتاب يمدحه ويثني عليه، ويرجع الفضل له في كونه – أي السّبكي- أصبح على ما وصل إليه من علم في الحديث خاصّة:

"... وأما أستاذنا أبو عبد الله فبصر لا نظير له، وكنز هو الملجأ إذا نزلت المعضلة، إماما لوجود حفظا، وذهب العصر معنى ولفظا، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل، كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها، ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها ... وهو الذي خرجنا في هذه الصناعة، وأدخلنا في عداد الجماعة، جزاه الله عنا أفضل الجزاء"[113].

وقد رثاه عند موته بقصيدة أوّلها:

مَنْ لِلْحَدِيثِ وَلِلْسَّارِينَ فِي اَلطَّلَبِ ... مِنْ بَعْدِ مَوْتِ اَلْإِمَامِ اَلْحَافِظِ اَلْذَّهَبِي
مَنْ لِلْرِّوَايَةِ وَاَلْأَخْبَارِ يَنْشُرُهَا ... بَيْنَ اَلْبَرِيَّةِ مِنْ عَجَمٍ وَمِنْ عَرَبِ
مَنْ لَلْدِّرَايَةِ وَاَلْآثَارِ يَحْفَظُهَا ... بِاَلْنَّقْدِ مِنْ وَضْعِ أَهْلِ اَلْغَيِّ وَاَلْكَذِبِ
مَنْ لِلْصِّنَاعَةِ يُدْرِي حَلَّ مُعْضِلِهَا ... حَتَّى يُرِيكَ جَلاَءَ اَلْشَّكِّ وَاَلْرِّيَبِ[114]

ثمّ قال فيه:

هُوَ اَلْإِمَامُ اَلْذِي رَوَتْ رِوَايَتَهُ ... وَطَبَّقَ اَلْأَرْضَ مِنْ طُلاَّبِهِ اَلْنُّجُبِ
ثَبَتٌ صَدُوقٌ خَبِيرٌ حَافِظٌ يَقِظٌ ... فِي اَلْنَّقْلِ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ اَلْكُتُبِ
الله أَكْبِرُ مَا أَقْرَا وَأَحْفَظَهُ ... مِنْ زَاهِدٍ وَرِعٍ فِي الله مُرْتَقِبِ[115]

أمّا تلميذه الصّفدي، فقد قال فيه في كتابه " الوافي في الوفيات"، ما يلي:

" ... الشيخ الإمام العلامة الحافظ، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، حافظ لا يجارى، ولافظ لا يبارى، أتقن الحديث ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأزال الإبهام في تواريخهم، والإلباس من ذهن يتوقد ذكاؤه، ويصح إلى الذهب نسبته وانتماؤه، جمع الكثير، ونفع الجم الغفير، وأكثر من التصنيف، ووفر بالاختصار مؤنة التطويل في التأليف، وقف الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني رحمه الله على تاريخه الكبير المسمى بتاريخ الإسلام جزءاً بعد جزء إلى

أن أنهاه مطالعة، وقال هذا كتاب علم اجتمعت به، وأخذت عنه، وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه، ولم أجد عنده جمود المحدثين، ولا كودنة النقلة، بل هو فقيه النظر، له دربة بأقوال الناس، ومذاهب الأيمة من السلف، وأرباب المقالات، وأعجبني منه ما يعانيه في تصانيفه من أنه لا يتعدى حديثاً يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن، أو ظلام إسناد، أو طعن في رواته، وهذا لم أر غيره يراعي هذه الفايدة فيما يورده..."[116].

وقال فيه صاحب كتاب " ذيل تذكرة الحفّاظ"، أبو المحاسن محمّد الحسيني الدّمشقي[117]:

"... الذهبي، الشيخ، الإمام، العلامة، شيخ المحدثين، قدوة الحفاظ والقراء، محدث الشام ومؤرخه ومفيده... وخرج لجماعة من شيوخه، وجرح وعدل وفرع بكذا، وعلل، واستدرك، وأفاد، وانتقى، واختصر كثيرا من تآليف المتقدّمين والمتأخّرين، وكتب علما كثيرا، وصنف الكتب المفيدة فمن أطولها تاريخ الإسلام، ومن أحسنها ميزان الاعتدال في نقد الرجال ... وقد سار بجملة منها الرّكبان في أقطار البلدان، وكان أحد الأذكياء المعدودين، والحفاظ المبرزين" [118].

أمّا محمّد بن ناصر الدّين الدّمشقي[119]، فقد قال عن الذّهبي في كتابه " الرّد الوافر" ما نصّه:"...الشيخ الإمام الحافظ الهمام، مفيد الشام، ومؤرخ الإسلام، ناقد المحدثين، وإمام المعدلين والمجرحين... كان آية في نقد الرجال عمدة في الجرح والتعديل عالما بالتفريع والتأصيل إماما في القراءات فقيها في النظريات له دربة بمذاهب الأئمة وأربابا المقالات قائما بين الخلف بنشر السنة ومذهب السلف" [120].

و قد ذكر ابن ناصر الدّين في نفس الكتاب السّابق، بيتي شعر قالها محمّد بن عبد الكريم الموصلي، تلميذ الذّهبي فيه، لمّا قدم إلى دمشق سنة (734هـ/1333م) جاء فيها:

مَا زِلْتُ بِاَلْسَّمْعِ أَهْوَاكُمْ وَمَا ذُكِرَتْ أَخْبَارُكُمْ قَطَّ إلاَّ مِلْتُ مِنْ طَرَبِ
وَلَسْتُ مِنْ عَجَبٍ أَنْ مِلْتُ نَحْوَكُمُ فَاَلْنَّاسُ بِاَلْطَّبْعِ قَدْ مَالُوا إِلَى اَلْذَّهَبِ[121]

ومن خلال ما أوردته من أقوال العلماء الذين عاصروا الحافظ الذّكهي، أو جاؤوا بعده، يتبيّن لنا المكانة العلميّة التي وصل إليها، فقد كان إماما حافظا بلغ مرتبة عالية من الحفظ، حتّى وصف بكونه شيخ الحفّاظ، ومحدّث العصر، وخاتمة الحفّاظ، والقائم بأعباء صناعة الحديث، الشيء الذي جعل الحافظ ابن كثير، يقول أنّه بوفاته ختم شيوخ الحديث وحفّاظه، أمّا تلميذه تاج الدّين السّبكي، فقد جعله هو والمزي والبرزالي ووالده تقي الدّين السّبكي، هم الأربعة فقط حفّاظ ذلك العصر، ورثاه بقصيدة طويلة يتساءل فيها إلى أي شخص يعود علم الحديث والرّواية والأخبار من بعد موته، ومرتبته في الحفظ جعلت الحافظ ابن حجر العسقلاني، يشرب ماء زمزم متمنّيا أن يصل إلى تلك الدّرجة من الحفظ.

وكان على دراية كبيرة بالتّاريخ ورجاله حتّى لقّب بمؤرّخ الإسلام، كما مدحه العلماء وأثنوا عليه لأمانته، وعلمه وتعامله مع النّصوص من نقد وجرح وتعديل، فهو لا يتميّز بجمود المحدّثين، ولا يتحرّى النّقل الحرفي فقط، بل يهتم بالأحاديث فيبين ضعيفها من صحيحها، سندا ومتنا، ومن أجل ذلك وصف بشيخ الجرح والتّعديل.

2. خصائص النّقد التّاريخي عنده:

يعد الحافظ الذّهبي من الذين اهتموا بالنّقد التّاريخي، بما فيه من جرح وتعديل، وقد تميّز أسلوبه بالعديد من الخصائص، منها:

- **تصنيفه كتبا خاصّة بالنّقد وأصوله وبالضّعفاء من الرّجال:** ومن أبرزها، كتاب " **المغني في الضّعفاء**"، وهو كتاب انتهج فيه مؤلّفه أسلوب الاختصار، تيسيرا على طلبة العلم في معرفة الضّعفاء، يحتوي على ذكر الكذابين، الوضّاعين، والمتروكين، والمحدّثين والنّاقدين من الضّعفاء، وعلى الصّادقين كثيري الوهم، والثّقات الذين فيهم كثير من اللّين، والمجهولين[122].

وكتاب" **ميزان الاعتدال في نقد الرّجال**"، وهو كتاب جليل، ألّفه بعد تأليفه لكتابه " المغني في الضّعفاء"، ضمّنه صاحبه في المقدّمة، مجموعة من الذين تكلّموا في الجرح والتّعديل ممّن سبقه من الرّواة والمؤرّخين، وهو مرتب على حروف المعجم، يحتوي على ذكر تراجم الكذّابين الوضّاعين المتعمّدين، والكذابين في سماعهم أو في حديثهم، والمتّهمين بالوضع والتّزوير، والمتروكين، وعلى الحفّاظ الذين يتميّزون بالرّقّة في دينهم والوهن في عدالتهم، والمحدّثين الضّعفاء الذين يقبل حديثهم في الشّواهد والاعتبار، وعلى المحدّثين الصّادقين، أو الشّيوخ المستورين الذين في حديثهم لين، وعلى المجهولين، والثّقات الذين فيهم بدعة أو تكلّم فيهم من لا يلتفت إلى كلامه[123].

ومن الأشياء المهمّة في هذا الكتاب، أنّ صاحبه ضمّنه عبارات الجرح والتّعديل، ومدلولاتها في النّقد، من أعلى العبارات التي تقال عن الرّواة المقبولين، إلى أرداها التي تقال في الجرح، ففي الأولى قال ما نصّه: "... فأعلى العبارات في الرّواة المقبولين، ثبت حجة، وثبت حافظ، وثقة

متقن، وثقة ثقة، ثم ثقة، ثم مقبول، ثم صدوق، ولا بأس به، وليس به بأس، ثم محله الصّدق، وجيد الحديث، وصالح الحديث، وشيخ وسط، وشيخ حسن الحديث، وصدوق إن شاء الله، وصويلح، ونحو ذلك"[124].

و قال في أردى العبارات ما يلي:

" وأردى عبارات الجرح، دجال، كذاب، أو وضاع يضع الحديث، ثم متهم بالكذب، ومتفق على تركه، ثم متروك، ليس بثقة، وسكتوا عنه، وذاهب الحديث، وفيه نظر، وهالك، وساقط، ثم واه بمرة، وليس بشيء، وضعيف جدا، وضعفوه، ضعيف، وواه، ومنكر الحديث، ونحو ذلك، ثم يضعف، وفيه ضعف، وقد ضعف، ليس بالقوي، ليس بحجة، ليس بذاك يعرف، وينكر، فيه مقال، تكلم فيه، لين سيء الحفظ، لا يحتج به، اختلف فيه، صدوق لكنه مبتدع، ونحو ذلك من العبارات التي تدل بوضعها على إطراح الرّاوي بالأصالة، أو على ضعفه، أو على التّوقّف فيه، أو على جواز أن يحتج به مع لين ما فيه..." [125].

ومن خلال هذين النّصّين يتّضح لنا أنّ الذّهبي كان على دراية كبيرة بمراتب الجرح والتّعديل وعباراته.

ومن كتبه في النّقد أيضا، كتاب " **ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق**"، وهو كتاب يحتوي كما قال مؤلّفه على :" ... فهذا فصل نافع في معرفة ثقات الرّواة الذين تكلم فيهم بعض الأئمة، بما لا يرد أخبارهم، وفيهم بعض اللّين، وغيرهم أتقن منهم وأحفظ، فهؤلاء حديثهم إن لم يكن في أعلى مراتب الصّحيح، فلا ينزل عن رتبة الحسن، اللهم إلا أن يكون للرّجل منهم أحاديث تستنكر عليه، وهي التي تكلم فيه من أجلها، فينبغي التّوقف في هذه للأحاديث والله الموفق بمنه"[126].

ومن كتبه في هذا المجال أيضا، رسالة في " **ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتّعديل**"، ذكر فيها طبقات النّقّاد وأصول النّقد، وله أيضا: "**ذيل ديوان الضعفاء والمتروكين**"، و"**ذيل كتاب الضّعفاء لابن الجوزي**"، وكتاب " **الذيل على ذيل الضّعفاء لابن الجوزي**"[127].

كما أنّه نظم أسماء المدلّسين في قصيدة، ذكرها السّبكي في كتابه " طبقات الشّافعيّة الكبرى"، ومنها:

حَدُّ اَلْمُدَلِّسِينَ يَاذَا اَلْفِكْرِ ... جَبْرُ اَلْجَعْفِي ثُمَّ اَلْزَّهْرِي
وَاَلْحَسَنُ اَلْبَصْرِي قُلْ مَكْحُولْ ... قَتَادَةُ حَمِيدُ اَلْطَّوِيلْ
ثمت اِبْنُ عَبْدِ اَلْمَلِكِ اَلْقِبْطِي ... وَاِبْنُ أَبِي نَجِيح اَلْمَكِّي[128]

- **<u>ميله إلى وضع الرّموز مع الأسماء التي يترجم لها</u>**: وذلك بحسب الكتاب الذي أخرج منها أسماء رجاله فيه من الكتب السّتة وغيرها، وهو يورد هذه الرّموز في مقدّمة كتبه مثلما فعل في " **ميزان الاعتدال**"، وفي "**المغني في الضّعفاء**"، وفي "**ذكر أسماء من تكلم فيهم**"[129]، وقد رمز للبخاري بحرف (خ)، ولمسلم بحرف (م)، وأبي داود بـ (د)، والتّرمذي بـ (ت)، والنّسائي بحرف (س)، وابن ماجة (ق)، ورمز لكتب السّتّة كلّها بـ (ع)، ورمز للسّنن الأربعة[130] بـ (عه)[131]، أمّا إذا ذكر الحديث في جميع الكتب إلاّ كتابا واحدا فيرمز له بـ (سوى د أو ت)[132]، ونلاحظ أنّه بذكره لهذه الرّموز في مقدّمة كتبه، وكأنّها شبيهة بلائحة المختصرات التي توضع في المذكّرات والرّسائل الجامعيّة، أو في بعض الكتب الحديثة.

ولنعطي مثالا عن هذه الرّموز من خلال كتابه " **الكاشف**"، في ترجمة :" أحمد بن إبراهيم البغدادي الدورقي، الحافظ، عن هشيم ويزيد بن زريع والناس، وعنه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة،

وحاجب بن أركين، وخلق، وله تصانيف ... م د ت ق"[133]، أي أنّه ورد في مسلم، وأبي داود، والترمذي، وابن ماجة.

- **نقد الرّجال**: وذلك بإصدار حكم في المترجم جرحا وتعديلا، من خلال إيراد آراء الثّقات من المعاصرين فيه، إذا كان المترجم من غير أهل عصره، مع الاكتفاء بآرائهم، وترجيح واحد فيها، واستخدام رأيه الشّخصي في حالة ما إذا كان المترجم له من عصره، وهو ينقد الرواة وغيرهم، مع عدم التّعميم في المدح أو الذّمّ، فيذكرهما معا[134].

- **نقد السّند والمتن**: يكون بالحكم على السند بضعفه، أو صحّته، وما إلى ذلك استنادا إلى الأدلّة التّاريخيّة، وباستخدام كلّ الأدلّة التّاريخيّة والعقليّة، من أجل نقد المتن[135].

- **عدم إتباع آراء الآخرين وإتّباع أسلوب البحث والاستدلال والمناقشة**: فالحافظ الذّهبي لا يميل إلى إتباع آراء الآخرين إذا لم يجد لآرائهم سندا، فيقوم بمخالفتهم في الرّأي، وهو في مناقشته يعتمد على الدّليل والإقناع[136]، مثل ما فعل في ترجمة زيد بن وهب الجهني، إذ خالف رأي الفسوي فيه[137]، ومثلما فعل في ترجمة أبّان بن إسحاق المدني، إذ قال:

" أبان بن إسحاق ت المدني بن محمد، وعنه يعلى بن عبيد، قال ابن معين وغيره، ليس به باس، وقال أبو الفتح الأزدي، متروك، قلت لا يترك فقد وثّقه أحمد والعجلي، وأبو الفتح يسرف في الجرح، وله مصنف كبير إلى الغاية في المجروحين جمع فأوعى، وجرح خلقا بنفسه لم يسبقه أحد إلى التّكلم فيهم، وهو المتكلم فيه..." [138].

ومن هنا يتّضح لنا أنّ الحافظ الذّهبي، كان ذا مقدرة على نقد آراء الآخرين وعدم إتباعها إن كان لا يجد لها سندا.

- **استخدامه للعديد من الطرق في المقارنة بين الرّوايات، وترجيح الصحيح منها**: ومن هذه الطّرق، معرفة الرّاوي وخبرته، حيث يرجح المصدر الأعرف بالخبر، المتّصل بالحادثة، ووقوفه على الوثائق والخطوط، أي ترجيح رواية على أخرى، استنادا إلى ما وقف عليه من وثائق وخطوط، والاستفادة من الوقائع التّاريخيّة الأخرى، بحسب الحوادث التّاريخيّة الثابتة عنده، إضافة إلى مسايرة أكثر المؤرّخين، وعدم الاعتماد على الشّاذ، في حالة عدم توفّر أدلّة أكثر لديه، وأخيرا، التّرجيح بعد التّعليل، وذلك بتعليل النّصّ المتعارض مع ترجيحه، وتفسيره استنادا إلى معلوماته العامّة[139].

- **ذكر مراتب وعبارات الجرح والتّعديل في كلّ ترجمة وآراء الآخرين:** مثل في قوله: " أبان بن جبلة الكوفي، أبو عبد الرّحمن، روى عن أبي إسحاق السبيعي، ضعفه الدارقطني وغيره، وقال البخاري منكر الحديث، ونقل ابن القطان أنّ البّخاري قال كل من قلت فيه منكر الحديث فلا تحل الرّواية عنه"[140].

ومثل قوله عن أبي بكر محمّد بن القاسم بن محمّد بن الحسن بن الأنباري البغدادي، أنّه كان ثقة صدوقا[141].

وقوله في ترجمة خُلَيْد بن دعلج، أبو حلبس السدّوسي، أنّه:" محدّث بصري ضعيف... ضعفه أحمد ويحيى، وقال أبو حاتم: ليس بالمتين في الحديث، هو صالح، وقال النّسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني: متروك، وقال ابن عدي: عامة حديثه ما توبع عليه، وقال ابن حبان: كثير الخطأ..." [142].

- **نقده للمصادر التي أخذ منها أو اختصرها أو اطّلع عليها:** وهو يقوم بنقد مصادره بذكر مساوئها ومحاسنها على السّواء، مثلما قال عن كتاب الضّعفاء لابن الجوزي، عند ترجمة أبّان بن يزيد العطّار، في كونه ذكره مع الضّعفاء، ولم يسرد أقوال من وثّقه، إذ قال عن كتابه:" ... وهذا من عيوب كتابه، يسرد الجرح ويسكت عن التّعديل..." [143]. وانتقد كتاب الضعفاء لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي لكونه ذكر علي بن المديني في كتابه الضعفاء مع كونه ثقة[144].

ومن الأمثلة التي ذكر فيها محاسن مصادره، قوله عن كتاب الضّعفاء للعقيلي:"... والعقيلي له مصنّف مفيد في معرفة الضّعفاء..." [145]، وقال أنّ كتاب " الكامل" لأبي أحمد بن عدي، هو :"... أكمل الكتب وأجلّها في ذلك..." [146]، كما امتدح الدارقطني وكتابه العلل إذ قال:"... وإذا شئت أن تبين براعة هذا الإمام فطالع العلل فإنّك تندهش ويطول تعجّبك..." [147].

- **لغته الجيّدة:** تتميّز لغة الحافظ الذّهبي بكونها لغة جيّدة، فهو يختار الكلمة المناسبة ويضعها في المكان المناسب، ممّا يساعده على النّقد[148].

- **اعتماده على آرائه الشخصية، أو آراء رجالات عصره، في نقد رواة وشيوخ عصره:** ومن ذلك قوله عن الشيخ أبي الفرج عبد الرحمن البغدادي البراز، أنّه هرم وتغيرّ في آخر عمره، وذلك حسب ما قال له معاصروه[149].

ثالثا: النقد التاريخي عنده في حادثة الراهب بحيرى من خلال كتابه " تاريخ الإسلام":

1. التعريف بكتاب " تاريخ الإسلام":

أ. سبب التّأليف والأسلوب:

يعتبر هذا الكتاب من بين أهمّ كتب الحافظ الذهبي، تناول فيه الحوادث والتراجم من السنة الأولى للهجرة، إلى عصره، وتحديدا إلى سنة (700هـ/1300م)، وجعله في واحد وعشرين مجلدا[150].

و عن سبب تأليفه، فيبدوا من خلال ما قاله في مقدمة الكتاب، أنّ غرضه كان النفع، إذ يقول:"... وهذا كتاب نافع إن شاء الله، ونعوذ بالله من علم لا ينفع، ودعاء لا يُسمع..." [151].

أمّا عن الأسلوب، فقد اتبع فيه صاحبه تقسيم الحوادث إلى وحدات زمنيّة تشمل كل عشر سنوات، أطلق عليها مصطلح " الطبقة"، وبالتالي فهو يحتوي على سبعين طبقة، ورتب الحوادث على السنين، مع جعل كل طبقة منفردة بنفسها، وبعنوانها الخاص، وفي كلّ سنة يفصل الحادثة عن الأخرى، بلفظة " وفيها"، أو بالشهر الذي وقعت فيه، مثل "وفي رمضان"، "و في محرّم"[152].

وذكر الوفيات في كلّ سنة، مرتبا إيّاها على حروف المعجم ضمن السنة الواحدة، مع ترتيبهم أحيانا حسب شهرتهم، أو ألقابهم، أو كناهم، أو أسمائهم، وقد اهتم بوضع الإحالات للمترجم لهم في حالة إذا ترجم لأحد باسمه وكان يعرف بكنيته، أو للأشخاص المعروفين باسمين، وترجم لهم مرتين، أو الذين اختلف في سنة وفاتهم، مع ترجيحه لسنة دون الأخرى، ومن العبارات التي يستخدمها: "مذكور بلقبه"، "يأتي بكنيته"، "تقدم"، "مرت"، " سيأتي في الحاء"[153].

أمّا عن عناصر الترجمة فيذكر فيها على الأغلب، اسم المترجم ونسبه، ولقبه، وكنيته، ونسبته، إضافة إلى مولده، ونشأته، دراسته، وشيوخه، تصانيفه، وتلامذته، ومكانه العلمية، وعقيدته، وتاريخ وفاته[154].

ومن الأساليب المتبعة في هذا الكتاب استخدام، المختصرات، مثل في كون رجاله المترجم لهم من الكتب الستة وغيرها، ولفظ "ثنا"، بمعنى حدثنا، و"أنا وأنبا"، بمعنى أخبرنا، و"ح"، وهو رمز التحويل يستعمل إذا كان للحديث إسنادان أو أكثر[155].

وقد انتهج الذهبي في تراجمه أسلوب الاختصار، معتذرا في بعض الأحيان إن طالت معه الترجمة، في حالة وجود مادة كثيرة، وفي بعض الأحيان يحيل القارئ إلى مصادر الترجمة، مع الإشارة كذلك في حالة عدم وجود المادة الكافية[156].

ب. محتوى الكتاب:

قد يبرز محتوى هذا الكتاب من خلال ما قاله مؤلفه في مقدمته، إذ قال:

" ... أما بعد فهذا كتاب نافع ... جمعته وتعبت عليه واستخرجته من عدة تصانيف يعرف به الإنسان مهم ما مضى من التّاريخ من أول تاريخ الإسلام إلى عصرنا هذا من وفيات الكبار من الخلفاء، والقراء، والزّهّاد، والفقهاء، والمحدثين، والعلماء، والسّلاطين، والوزراء، والنّحّاة، والشّعراء، ومعرفة طبقاتهم، وأوقاتهم، وشيوخهم، وبعض أخبارهم، بأخصر عبارة، وألخص لفظ، وما تمّ من الفتوحات المشهورة، والملاحم المذكورة، والعجائب المسطورة، من غير تطويل، ولا

استيعاب، ولكن أذكر المشهورين، ومن يشبههم، وأترك المجهولين ومن يشبههم، وأشير إلى الوقائع الكبار، إذ لو استوعبت التراجم والوقائع لبلغ الكتاب مائة مجلدة بل أكثر..."[157].

ومن خلال هذا النّصّ يتضح لنا أنّ الذهبي يركّز في كتابه على أمرين، هما الأحداث التاريخية وتراجم الأعلام المتوفين في خضم تلك الأحداث.

أمّا عن الأحداث، فقد بدأ كتابه بالتّأريخ لسيرة الرّسول صلّى الله عليه وسلم، خاصة في المدينة، وطال الحديث في سيرته صلى الله عليه وسلم[158]، واهتم بذكر حروب الردة، وحركة الفتوحات الإسلامية، والمعارك التي قادها المسلمون ضد الصليبيين، وظهور المغول، وأخبار الفاطميين، باعتبارهم من أكبر الأخطار على أهل السنة، وبحال هؤلاء في ظل حكمهم، وركز على ذكر أخبار بلاد الشام ومصر، مع أن تاريخه يؤرخ لمختلف أماكن العالم الإسلامي.

ومن الأمور التي يركز عليها، بعض الأهوال التي مرت بأهل السنة مثل محنة خلق القرآن، واهتم بالتّأريخ لأعمال الملوك والخلفاء، التي تساهم في نشر الدين، كبناء المساجد، والجوامع، وإنشاء دور العلم والمدارس، وتعيين وعزل القضاة، وبغيرها من الأمور الدينية كمواسم الحج.

وكما يذكر ما يصيب الناس من الأوبئة، المجاعات، الفيضانات، والعواصف، أو ارتفاع وانخفاض أسعار الأطعمة، ويذكر بعض الأخبار القصيرة عن بعض الظواهر الطبيعية الأخرى، كالزلازل، الكسوف، والكسوف، وبعض الحوادث الغريبة مثل ولادة صبي برأسين، وأربعة أرجل، أو قدوم رجل إلى دار الخلافة، طوله ثلاثة أشبار وثلاثة أصاب[159].

أمّا عن التّراجم التي يوردها في الكتاب، فنلاحظ من خلال القول السابق، أنّه اهتمّ بالترجمة لمختلف الفئات، من ذوي المناصب السياسية، كالخلفاء، والملوك، والوزراء، وذوي المناصب والمراتب العلمية والدينية، كالقضاة، والقراء، والمحدّثين، والفقهاء، والأدباء، وكذلك الأمر بالنّسبة للشعراء، واللغويين، إضافة إلى الأطباء، والصّيادلة، والتّجار، كما ترجم لمختلف أرباب الملل الذين يخالفونه في العقيدة، من الصوفية، والمعتزلة، والفلاسفة، لكنّ جلّ اهتمامه كان للمحدّثين، ومن جهة أخرى نجد أنّ تراجمه تتميز بالتنوّع المكاني، فهي تمتد من الأندلس إلى أقصى المشرق، مع التركيز على أعلام دمشق[160].

ج. مصادره:

يعتمد الذهبي في كتابه هذا، على العديد من أنواع المصادر، أهمّها المشاهدة والملاحظة، وهي قائمة على ما عايشه هو بنفسه، ونجدها خاصة في الحوادث الأخيرة من كتابه، وتدل عنها بعض العبارات، مثل:"و شربنا منه"، و"اجتمعنا لسماع البخاري"، "فبتنا ليلة الله بها عليم"، كما أنّه كان ينقل تراجم بعض الوفيات من لوحات المقابر، مثل قبر أبي العلاء المعري، ويعني هذا أنّه جمع بين المنهج النظري والتطبيقي، واستخدم المشافهة، وذلك باعتباره من كبار الحفاظ، فقد ذكر العديد من الأخبار عن طريق الإخبار، إضافة إلى المساءلة والمكاتبة، والإجازات[161].

أمّا عن المؤلّفات السابقة، التي اعتمد عليها، فقد أورد جملة منها في المقدمة، وهي متنوّعة ومختلفة، بين كتب السيرة والمغازي، مثل "دلائل النبوّة" للبيهقي، و"سيرة ابن إسحاق"، وكتب التّاريخ العام، مثل

تاريخ أبي عبد الله البخاري، وتاريخ يعقوب الفسوي، وتاريخ أبي بكر بن أبي شيبة، وخليفة بن خيّاط، وتاريخ الواقدي، والأسانيد، مثل مسند أحمد[162].

وكتب الطّبقات مثل "الطبقات الكبرى" ابن سعد، وطبقات ابن خيّاط، وكتب الجرح والتعديل، ككتاب يحيى بن معين، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وكتب التراجم ككتاب " تهذيب الكمال" للمزي، وقد طالع الذهبي مبيضة، ومسودّة هذا الكتاب معا[163].

2. النّموذج (حادثة الرّاهب بحيرى حسب المؤرّخ الذّهبي):

من أجل تبيان النّقد التّاريخي عند الحافظ الذّهبي، اتخذنا نموذجا هو حادثة وقعت مع الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، تداولتها أغلبيّة المصادر، بدون نقد، ولا إبداء رأي، حتّى أصبحت من المسلّمات، لدرجة أنّها حتّى في الوقت الحاضر تدرّس في المدارس على أنّها حقيقة وقعت، فما هو رأي الذّهبي فيها؟

و من أجل ذلك وجب إيراد النّصّ الذي يتحدّث عنها في كتاب تاريخ الإسلام، ثمّ نعلّق عليه، إن شاء الله تعالى، وهذا نصّ الحديث:

أ. نص الحديث:

« **سفره إن صحّ:**

قال قراد أبو نوح: ثنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري، عن أبيه، قال: خرج أبو طالب إلى الشّام، ومعه محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وأشياخ من قريش، فلمّا أشرفوا على الرّاهب [بحيرى] نزلوا فخرج إليهم، وكان قبل ذلك لا يخرج إليهم، فجعل يتخلّلهم وهم يحلون رحالهم، حتى جاء فأخذ بيده - صلّى الله عليه

وسلّم- وقال: هذا سيد العالمين، [هذا رسول رب العالمين]، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين.

فقال أشياخ قريش: وما علمك بهذا؟، قال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا، ولا يسجدون إلا لنبيّ، لأعرفه بخاتم النّبوة أسفل غضروف كتفه مثل التّفّاحة.

ثم رجع فصنع لهم طعاما، فلما أتاهم به وكان - صلّى الله عليه وسلّم - في رعية الإبل، قال: فأرسلوا إليه فأقبل، وعليه غمامة تظله، فلمّا دنا من القوم وجدهم قد سبقوه - يعني إلى فيء شجرة - فلما جلس مال فيء الشّجرة عليه، فقال: انظروا [إلى] فيء الشّجرة مال عليه.

قال: فبينا هو قائم عليه يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الرّوم، فإن الرّوم لو رأوه عرفوه بصفته فقتلوه، فالتفت فإذا بسبعة نفر قد أقبلوا من الرّوم، فاستقبلهم الرّاهب، فقال: ما جاء بكم؟، قالوا: جئنا إن هذا النّبيّ خارج في هذا الشّهر، فلم يبق طريق إلا قد بعث إليه ناس، وإنا قد أخبرنا فبعثنا إلى طريقك هذا، فقال لهم: هل خلفتم خلفكم أحدا هو خير منكم؟، قالوا: لا. إنما أخبرنا خبره بطريقك هذا.

قال: أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من النّاس ردّه؟، قالوا: لا. قال: فتابعوه وأقاموا معه، قال: فأتاهم فقال: أنشدكم الله أيكم وليه؟، قال أبو طالب: أنا، فلم يزل يناشده حتّى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر، بلالا وزوّده الرّاهب من الكعك والزّيت»[164].

ب. نقد السّند:

نلاحظ أنّ الذّهبي اهتمّ بنقد هذا الحديث، سندا ومتنا، وقد قال عن السّند ما نصّه:

« تفرد به قراد، واسمه عبد الرّحمن بن غزوان، ثقة، احتج به البخاري والنّسائي، ورواه النّاس عن قراد، وحسّنه التّرمذي»[165].

و نلاحظ من خلال هذا النّصّ، أنّ الذّهبي في هذا الحديث، اكتفى بالتّحدّث عن الرّاوي الأوّل، وهو أبو نوح، قرّاد واسمه عبد الرحمن بن غزوان، وهو ثقة، احتجّ به البخاري والنّسائي، ثمّ ينتقل مباشرة إلى نقد المتن.

ومن أجل التّيقن أكثر من السّند، نقوم بالبحث عن رواة الحديث:

الرّاوي الأوّل: هو عبد الرّحمن بن غزوان الخزتعي الضبي، المعروف بقراد، أبو نوح، مولى عبد الله بن مالك، ترجم له المزي في كتابه "تهذيب الكمال"، وذكر مختلف الآراء عنه، وهي تتراوح ما بين: ليس به بأس، وثقة[166].

الرّاوي الثّاني: هو أبو إسرائيل، يونس بن أبي إسحاق السبيعي، قيل عنه أنّه كان صدوقا، وثقة، توفّي سنة (59هـ/679م) [167].

الرّاوي الثّالث: هو أبو بكر بن أبي موسى الأشعري، الكوفي، اسمه عمرو، وقيل عامر، ذكره ابن حبّان في الثّقات، وقال عنه ابن سعد أنّه كان قليل الحديث، يستضعف[168].

الرّاوي الرّابع: أبو موسى الأشعري، وهو عبد الله بن قيس، وهو صحابي[169].

ومن خلال هذا البحث عن الرّواة، يتّضح لنا أنّ السّند صحيح، بحكم أنّ كلّ رواته ثقاة، وفيهم صحابي، كما أنّه فيه دليل التّحديث، وعنعنة واحدة فقط.

ج. نقد المتن:

من أجل معرفة رأي الذّهبي في متن الحديث، نورد النّصّ الآتي:

«... وهو حديث منكر جدا، وأين كان أبو بكر؟ كان ابن عشر سنين، فإنه أصغر من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم - بسنتين ونصف، وأين كان بلال في هذا الوقت؟، فإن أبا بكر لم يشتره إلا بعد المبعث، ولم يكن ولد بعد.

و أيضا فإذا كان عليه غمامة تظله كيف يتصور أن يميل في ء الشّجرة؟، لأن ظلّ الغمامة يعدم في ء الشّجرة التي نزل تحتها، ولم نر النّبي - صلى الله عليه وسلم - ذكّر أبا طالب قطّ بقول الرّاهب، ولا تذاكرته قريش، ولا حكته أولئك الأشياخ، مع توفر هممهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك.

فلو وقع لاشتهر بينهم أيما اشتهار، ولبقي عنده - صلّى الله عليه وسلّم - حس من النبوة، ولما أنكر مجيء الوحي إليه أولا بغار حراء، وأتى خديجة خائفا على عقله، ولما ذهب إلى شواهق الجبال ليرمي نفسه - صلّى الله عليه وسلّم -.

وأيضا فلو آثر هذا الخوف في أبي طالب ورده، كيف كانت تطيب نفسه أن يمكنه من السّفر إلى الشّام تاجرا لخديجة؟...»[170].

من خلال هذا النّص يتضح لنا ما هي الشّواهد، التي استند إليها الذّهبي في الحكم على هذا الحديث بأنّه منكر جدّا، وهي:

- سنّ أبي بكر الصّديق، الذي كان أصغر من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وأنّ بلال بن رباح، لم يكن قد ولد أصلا.
- التناقض الموجود بين التزامن في الوقت بين ظلّ الغمامة وفيء الشّجرة.
- عدم تذكير النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، عمّه أبا طالب، بقصّة الرّاهب بحيرى، وعدم تذاكر القصّة في قريش وأشياخها، وعدم اشتهارها بينهم.
- عدم إحساس النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، بإحساس النّبوّة وإنكاره الوحي عند نزوله عليه، وذهابه إلى خديجة رضي الله عنها خائفا.

- سماح عمّه أبي طالب له بالذّهاب إلى الشّام، بتجارة خديجة رضي الله عنها، ولو كان حقّا يخشى عليه من كلام الرّاهب، لما سمح له.

د. ذكر روايات أخرى للحديث:

نجد أنّ الذّهبي، قام بنقل روايات أخرى لهذا الحديث، ومنها ما نصّه:

«... وفي الحديث ألفاظ منكرة تشبه ألفاظ الطرقية، مع أن ابن عائذ قد روى معناه في مغازيه، دون قوله: وبعث معه أبو بكر، بلالا إلى آخره، فقال: ثنا الوليد بن مسلم أخبرني أبو داود سليمان بن موسى فذكره بمعناه.

وقال ابن إسحاق في السّيرة: إن أبا طالب خرج إلى الشّام تاجرا في ركب، ومعه النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - وهو غلام، فلما نزلوا بصرى، وبها بحيرا الرّاهب في صومعته وكان أعلم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة قط راهب يصير إليه علمهم عن كتاب فيهم فيما

يزعمون، يتوارثونه كابرا عن كابر، قال: فنزلوا قريبا من الصّومعة، فصنع بحيرا طعاما، وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم، فنزل بظل شجرة، فنزل بحيرا من صومعته، وقد أمر بذلك الطّعام، فصُنع، ثم أرسل إليهم فجاءوه.

فقال رجل منهم: يا بحيرا ما كنت تصنع هذا فما شأنك؟، قال: نعم ولكنكم ضيفِ، وأحببت أن أُكرمكم، فاجتمَعوا، وتخلّف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لصغره في رحالهم.

فلما نظر بحيرا فيهم ولم يره، قال: يا معشر قريش لا يتخلف عن طعامي هذا أحد.

قالوا: ما تخلّف أحد إلا غلام هو أحدث القوم سنا. قال: فلا تفعلوا ادعوه. فقال رجل: واللات والعزى إن هذا للؤم بنا، يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطّعام من بيننا، ثم قام واحتضنه وأقبل به، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا شبعوا وتفرقوا قام بحيرا، فقال: يا غلام أسألك باللاّت والعزى، إلا أخبرتني عما أسألك عنه، فزعموا أنه قال: لا تسألني باللاّت والعزى فوالله ما أبغضت بغضهما شيئا قط.

فقال له: فبالله إلاّ ما أخبرتني عما أسألك عنه، فجعل يسأله عن أشياء من حاله فتوافق ما عنده من الصّفة. ثم نظر فيه أثر خاتم النّبوة، فأقبل على أبي طالب، فقال: ما هو منك؟، قال: ابني. قال: ما ينبغي أن يكون أبوه حيّا، قال: فإنه ابن أخي.

قال: ارجع به واحذر عليه اليهود، فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفته ليبغنه شرا، فإنه كائن لابن أخيك شأن، فخرج به أبو طالب سريعا، حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته. وذكر الحديث.

وقال معتمر بن سليمان: حدثني أبي عن أبي مجلز: أن أبا طالب سافر إلى الشّام ومعه محمد، فنزل منزلا، فأتاه راهب، فقال: فيكم رجل صالح، ثم قال: أين أبو هذا الغلام؟، قال أبو طالب: هأنذا وليه.

قال: احتفظ به ولا تذهب به إلى الشّام؟؟، إن اليهود قوم حسد، وإني أخشاهم عليه. فرده. وقال ابن سعد: أنا محمد بن عمر حدثني عبد الله بن جعفر وجماعة عن داود بن الحصين أن أبا طالب خرج تاجرا إلى الشّام، ومعه محمد، فنزلوا ببحيرا، الحديث.

روى يونس عن ابن شهاب حديثا طويلا فيه: فلما ناهز الاحتلام ارتحل به أبو طالب تاجرا فنزل تيماء، فرآه حبر من يهود تيماء، فقال لأبي طالب: ما هذا الغلام؟ قال: هو ابن أخي، قال: فو الله إن قدمت به الشّام لا تصل به إلى أهلك أبدا، ليقتلنه اليهود، إنه عدوهم، فرجع به أبو طالب من تيماء إلى مكة»[171].

و نلاحظ من خلال هذا النّهج، الذي اتبعه الذّهبي في نقد هذا الحديث، أنّه لم يكتفي في نقده عند سند الحديث، الذي يعتبر صحيحا، وإنّما اتجه إلى المتن، ونقده، وأعطى أدلته على بطلانه، ثمّ قارنه بما يشابهه من أحاديث في نفس السّياق.

الخاتمة:

من خلال ما سبق يمكن الخروج بعدد من النّتائج منها:

- أنّ الحافظ الذّهبي، حضي بفرص كثيرة للأخذ من مختلف منابع العلم، ومختلف الشّيوخ في العديد من الأماكن التي ارتحل إليها طالبا القراءات والحديث، ومختلف العلوم.
- تتجلّى مكانته العلميّة في كونه كان حافظا، بارعا، وفقيها، وإماما، وقد شهد له تلامذته، ومعاصروه، وحتّى من جاء بعده من المؤرخين، والمحدّثين، بهذه المكانة، ومدحوه، كما تبرز من خلال ما تركه من مؤلفات التي تربوا عن حوالي ثلاثمائة كتاب، في مختلف العلوم، والتي تظهر براعته الدّينيّة والتّاريخيّة، والعلميّة.
- اهتمّ الحافظ الذّهبي بالنّقد التّاريخي، وأولى له اهتماما كبيرا، إذ صنّف المؤلّفات فيه، مثل كتابه" المغني في الضّعفاء"، و"ميزان الاعتدال في نقد الرّجال"، وكانت له بعض الخصائص النّقديّة التي تميزه عن غيره من العلماء، تقوم كلّها على الروح العلميّة، الخالية من أي اعتبارات، القائمة على الدّليل والحجّة.
- يعتبر كتابه "**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**"، من بين أهمّ كتبه التّاريخيّة، يذكر فيه الأحداث التّاريخيّة على ترتيب السّنين، لكلّ طبقة المتشكلة من عشر سنوات، ويرفق كلّ سنة بتراجم للأعلام والمشاهير المتوفين فيها.

- يبـيّن نمـوذج حادثـة الراهـب بحيـرى، مثـالا علـى أسـلوبه في نقـد الأحاديث والرّوايات التّاريخيّة، وذلك بنقد السّند، والمتن، حتّى وإن كان السّند صحيحا، وذلك استنادا إلى الشّواهد التّاريخيّة والعقليّة.

الهوامش:

[1] أنظر: عبد الرحمن أبو الفضل بن أبي بكر السّيوطي: **طبقات الحفّاظ**، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1403، ص521؛ أبو المحاسن محمّد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدّمشقي: **ذيل تذكرة الحفّاظ**، ج1، تحقيق: حسام الدّين القدسي، دط، دار الكتب العلميّة، بيروت، دت، ص34؛ أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذّهبي: **معجم المحدّثين**، ج1، تحقيق: محمّد الحبيب الهيلة، ط1، مكتبة الصّديق، الطّائف، 1408، ص97؛ أبو نصر عبد الوهّاب بن علي بن عبد الكافي السبكي: **طبقات الشّافعيّة الكبرى**، ج1، تحقيق: عبد الفتاح محمّد الحلو- محمود محمّد الطناحي، ط2، هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع والإعلام، الجيزة، 1992، ص100.

[2] بشّار عوّاد معروف: **الذّهبيّ ومنهجه في كتاب تاريخ الإسلام**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1429- 2008.

[3] هي أشهر مدينة بديار بكر، قرب آمد، كانت ملكا للروم، ثمّ غزاها ملك الفرس قباذ بن فيروز، ليستعيدها هرقل ملك الروم فيما بعد، وفي خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فتحها خالد بن الوليد والأشتر النّخعي، سنة (18 هـ/639م). أنظر: ياقوت بن عبد الله الحموي: **معجم البلدان**، ج 5، دط، دار الفكر، بيروت، دت، ص ص 335- 338.

[4] هي بلاد واسعة تمتد من غرب دجلة، إلى الجبل المطل على نصّيبين، من أشهر مدنها آمد وميّافارقين، وحصن كيفا، تنسب إلى بكر بن وائل بن قامط، من ولد معد بن عدنان، ينسب إليها عمر بن علي بن الحسن الدّيار بكري، المصدر نفسه، ج 2، ص 494.

[5] ذكر الذّهبي في معجم الشّيوخ، أنّ جدّه قايماز، توفّي عن مئة سنة، وكان قد هرم وأضرّ، ممّا يعني أنّ مولده يكون سنة (651هـ/1253م). أبو عبد الله محمّد بن قايماز الذّهبي: **معجم الشّيوخ الكبير**، تحقيق: محمّد الحبيب الهيلة، ط1، مكتبة الصديق، الطائف- المملكة العربية السعودية، 1408- 1988، ص 436.

[6] كان جدّه هذا أمّيّا لكنّه كان حسن اليقين بالله، وقد ذكر الذّهبي في معجم شيوخه أنّه حضر دفن جدّه هذا، في جبل قاسيون عقيب الجمعة، سنة (683هـ/1284م). المصدر نفسه، ج 1، ص 436.

[7] عوّاد معروف: المرجع السّابق، ص ص 73-74.

[8] الذهبي: **معجم الشّيوخ**، ج1، ص 75.

[9] هو نجيب الدّين أبو المرهف المقداد بن أبي القاسم هبة الله بن علي بن المقداد القيسي الصقلي الدّمشقي، الشّافعي، ولد سنة (600هـ/1203م) بدمشق، توفي في (شعبان681هـ/1282م). أنظر: محمّد بن أحمد الفاسي أبو الطّيّب: **ذيل التقييد**، ج 2، ط1، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1410، ص ص 289-290؛ الذّهبي: **معجم الشّيوخ**، ج2، ص 341.

[10] هو تقي الدّين إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر شاكر التّنوخي الدّمشقي، ولد بدمشق سنة (589هـ/1193م)، أخذ عن أبي طاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي، وضياء الدّين عبد الملك بن زيد بن ياسين الدولعي، توفي بمسقط رأسه سنة (672هـ/1273م). انظر: **ذيل التّقييد**، ج 1، ص ص 461 -462.

[11] هو جمال الدّين محمّد بن عبد الله بن مالك الطّائي الأندلسي الجياني الشّافعي، توفّي بدمشق سنة (672هـ/1273م). انظر: شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذّهبي: **تذكرة الحفّاظ**، ج 4، تحقيق: حمدي عبد الحميد إسماعيل، ط1، دار الصميعي، الرّياض، 1415، ص 1490.

[12] هو تاج الدّين أَبو محمّد عبد الخالق بن عَبد السَّلام بن سعيد بن علوان القاضي الإمام المعَرّي البعلبكي الشافعي الأَديب، ولد سنة (603هـ/1206م)، سمع من عدد من الشّيوخ منهم الحافظ البرزالي، وأجاز له الكندي، ولّي قضاء بعلبك، توفّي قي (9 محرّم 696هـ/1296م). أنظر: الذّهبي: **معجم الشّيوخ**، ج1، ص ص 351- 352.

[13] هي أمّ محمّد زينب بنت عمر بن كندي بن سعد بن علي الدّمشقيّة الكنديّة، نزيلة بعلبك، كانت شيخة صالحة، أجازها المؤيّد الطوسي، وزينب بنت الشعري، توفّيت سنة (699هـ/1299م). أنظر: المصدر نفسه، ج1، ص ص 254- 255. وانظر أيضا: شميساني حسن: **أعلام مؤرّخي العرب والإسلام الحافظ شمس الدّين الذّهبي أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز 673- 748 هـ/ 1274-1348م**، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، 1441- 1990، ص 47.

[14] عوّاد معروف: المرجع السّابق، ص 74؛ شميساني: المرجع السّابق، ص 47.

[15] أنظر: الذّهبي: **معجم الشّيوخ**، ج1، ص 75؛ عوّاد معروف: المرجع السّابق، ص 74.

[16] الذهبي: **معجم الشّيوخ**، ج2، ص ص 27- 28.

[17] هو نجم الدّين أبو الفداء إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن ركاب ابن الخبّاز الأنصاري، الدمشقي الصّالحي الحنبلي، ولد سنة (629هـ/1231م)، وسمع من السخاوي، وابن ملاعب، وغيرهما، توفّي سنة (703هـ/1303م). انظر: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج9، تحقيق: أحمد الأورناؤوط وتركي مصطفى، دط، دار إحياء التراث، بيروت، 1420- 2000، ص 40.

[18] هو بهاء الدّين أبو جابر أيّوب بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد الله بن طارق الأسدي الحلبي الحنفي، ولد حوالي سنة (618هـ/1221م)، وتوفّي سنة (699هـ/1299م). أنظر: الذهبي: **معجم الشّيوخ**، ج1، ص 185.

[19] هي أم يحيى وأم الخير ست العرب بنت يحيى بن قايماز الكندية مولاتهم الدّمشقيّة، ولدت سنة (599هـ/1202م)، وسمعت من عمر بن طَبَرزَد، ومولاها أبي اليمن الكندي، توفّيت سنة (684هـ/1285م). أنظر: المصدر نفسه، ج 1، ص 288.

[20] المصدر نفسه، ج1، ص 28.

[21] هو أبو عمرو عثمان بن علي بن عبد الواحد بن حسين المعروف بابن خطيب القرافة القرشي الأسدي الدّمشقي، كان يمتهن النّسخ بالأجرة، توفّي سنة (656هـ/1258م). أنظر: أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذّهبي: **سير أعلام النّبلاء**، ج 23، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- محمّد نعيم العرقسوسي، ط9، دار الرّسالة، بيروت، 1413، ص ص 337-338.

[22] هي خطّة من الفسطاط بمصر، وقرّافة بطن من قبيلة المعافر، فسمي المكان نسبة إليهم، وهي لبني غصن بن سيف بن وائل، والقرّافة أيضا موضع بالإسكندريّة. أنظر: **معجم البلدان**، ج 4، ص 317.

[23] الذهبي: **معجم الشّيوخ**، ج1، ص ص 68- 69.

[24] ذكر ابن حجر العسقلاني، في كتابه، الدّرر الكامنة، أنّ مولده كان في الثّالث من ربيع الآخر. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمّد بن محمّد بن علي بن حجر العسقلاني: **الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة**، ج 5، تحقيق: محمّد عبد المعيد خان، ط2، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، حيدر أباد- الهند، 1972، ص 66. وانظر ايضا: الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج 2، ص 116. أنظر أيضا: عوّاد معروف: المرجع السّابق، ص 73.

[25] الكفر في لغة أهل الشّام، هي القرية، وهي من قرى غوطة دمشق بإقليم داعية، سكنها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وممن ينسب إليها، وثيق بن أحمد بن عثمان السلمي الكفربطناني، وغيره. أنظر: **معجم البلدان**، ج 4، ص 468.

[26] الغوطة من الغائط، وهو المطمئنّ من الأرض، جمعة غيطان وأغواط، والغوطة هي الكورة، ومنها غوطة دمشق. أنظر: المصدر نفسه، ج 4، ص 219.

[27] يبدو أنّ الذّهبي كان يطلق اسما خاصّا على عمّته وهو "عمّتي سُتَيْت". الذّهبي: **معجم الشّيوخ**، ج1، ص 285. وانظر أيضا: شميساني: المرجع السابق، ص 46.

[28] الذهبي: **معجم الشيوخ**، ج 1، ص 436.

[29] شميشاني: المرجع السّابق، ص 49.

[30] هو علاء الدّين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود بن العطّار الدّمشقي الشّافعي، ولد سنة (654هـ/1256م)، سمع على ابن أبي اليسر، وغيره، كان مفتيا ومحدّثا، توفّي سنة (724هـ/ 1224م).الذهبي: **معجم الشّيوخ**، ج1، ص 7.

[31] أنظر: ابن حجر: **الدرر الكامنة**، ج 5، ص 66، شميساني: المرجع السّابق، ص 48؛ عواد معروف: المرجع السّابق، ص ص 75- 76.

[32] هو أمين الدين أبو اليمن عبد الصمد بن التّاج عبد الوهاب بن الحسن ابن عساكر الدمشقي، ولد سنة (614هـ/1217م)، ذكر الذهبي أنّه كتب إليه بمرويّاته سنة مولده، توفّي الشّيخ سنة (686هـ/1287م). أنظر: الذهبي: **معجم الشّيوخ**، ج1، ص ص 395-396.

[33] هو أبو زكريا جمال الدين يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح، الجيشي، الحرّاني، الحنبلي، المعروف بابن الصيرفي، ولد سنة (583هـ/1187م)، توفّي سنة (678هـ/1279م). أنظر: المصدر نفسه، ج2، ص 378.

[34] هو أبو حامد جمال الدّين محمّد بن علم الدّين علي بن محمود، ابن الصّابوني المحمودي، الشّافعي، الدّمشقي، ولد سنة (604هـ/1207م)، كان إماما، حافظا، ومحدّثا، توفّي سنة (680هـ/1281م). أنظر: المصدر نفسه، ج2، ص 247.

[35] هو أبو العبّاس أحمد بن عبد القادر بن حسّان بن رافع بن نُمَيْر العامري الدّمشقي، ولد سنة (609هـ/1212م)، سمع عن أبي القاسم بن الحرستاني، توفّي سنة (673هـ/1274م)، وفيها أجاز للحافظ الذّهبي مرويّاته. أنظر: المصدر نفسه، ج1، ص 69.

[36] هو أبو العباس أحمد بن أبي الخير سلامة بن إبراهيم بن سلامة بن معروف، الدمشقي الحنبلي الحدّاد ثم الخيّاط، المنادي المقرئ، ولد سنة (589هـ/1193م)، توفّي سنة (678هـ/1279م). أنظر: المصدر نفسه، ج1، ص 44.

[37] هو أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم، القرشيّ، الدّمشقي، المعروف بابن الدّرجي، توفّي بعد عودته من الحج، بدمشق سنة (681هـ/1282م)، وله 81 سنة. انظر: المصدر نفسه، ج1، ص 130.

[38] هو أبو الغنائم شمس الدّين المسلم بن محمّد بن المسلم بن مكي بن علاّن، القيسي الدّمشقي، الكاتب، ولد سنة (694هـ/1294م)، توفّي سنة (680هـ/1281م). انظر: المصدر نفسه، ج2، ص 340.

[39] هو أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن عبد القاهر بن هبة الله الحلبي المعروف بابن النّصبي، ولد سنة (609هـ/1212م)، سمع من أبي محمّد بن الأستاذ، ومحمّد بن عمر العثماني، وغيرهم، توفّي سنة (692هـ/1293م). أنظر: المصدر نفسه، ج 1، ص 95.

[40] هو شبل الدّولة كافور بن عبد الله الطّوّاشي الدّرْدَرْمي، أجاز مرويّاته للحافظ الذّهبي من المدينة النّبويّة، لكنّه يذكر في معجم الشّيوخ أنّه لم سظفر بشيء من مرويّاته. الذّهبي: المصدر نفسه، ج2، ص 120.

[41] هو أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن زيد الكواس الموصلي، ولد سنة (660هـ/1262م) سمع من ابن الزّبيدي، وروى عنه ابن العطّار، وابن الخبّاز، توفي سنة (738هـ/1337م). الذّهبي: المصدر نفسه، ج2، ص 200.

[42] أنظر: ابن حجر: **الدرر الكامنة**، ج 5، ص 66؛ شميساني: المرجع السّابق، ص 48؛ عواد معروف: المرجع السّابق، ص 76.

[43] هو علاء الدّين علي بن محمّد الحلبي البُصْبُصْ، المؤدّب، قال عنه الذّهبي أنّه كان حسن الحطّ، وأعرف النّاس بتعليم الصّبيات، توفّي سنة (690هـ/1291م). أنظر: الذّهبي: **معجم الشّيوخ**، ج2، ص 52.

[44] المصدر نفسه، ج 2، ص 52.

[45] هو مسعود بن عبد الله الأغزازي المقرئ الصّالح، إمام مسجد بالشّاغور، توفّي سنة (720هـ/1320م). انظر: المصدر نفسه، ج 2، ص 339؛ عوّاد معروف: المرجع السّابق، ص 77.

[46] هو أبو العبّاس عز الدّين أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرج، الواسطي، المقرئ، المفسّر، الشّافعي، الخطيب الصّوفي، الفاروثي المصطفوي، ولد سنة (614هـ/1217م)، توفّي سنة (694هـ/1294م). انظر: أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، ج 2، تحقيق : بشار عواد معروف - شعيب الأرناؤوط - صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1404، ص ص 691-693.

[47] المصدر نفسه، ج 2، ص 691-693.

[48] عوّاد معروف: المرجع السّابق، ص 78؛ شميساتي: المرجع السّابق، ص 50؛ **ذيل تذكرة الحفّاظ**، ج 1، ص 36.

[49] هو جمال الدّين أبو إسحاق إبراهيم بن داود بن ظافر بن ربيعة، العسقلاني، الدّمشقي، الفاضلي، الشّافعي، ولد سنة (622هـ/1225م)، كان شيخ القرّاء في زمانه، فكان يقرئ في منزله بدمشق، أين التحق به الذّهبي ورفقة له منهم شمس الدّين الحنفي النّقيب، وشمس الدّين بن غدير، توفّي سنة (693/692م). أنظر: الذّهبي: **معجم الشّيوخ، ج1**، ص 135؛ الذّهبي: **معرفة القرّاء الكبار**، ج 2، ص ص 703- 704.

[50] هو أبو إسحاق جمال الدّين إبراهيم بن غالي بن شاور البدوي، المقرئ الحميري، الشّافعي، نزيل دمشق، ولد في حدود سنة (650هـ/1252م)، توفّي سنة (708هـ/1308م). الذّهبي: **معجم الشّيوخ**، ص 16؛ الذّهبي: **معرفة القرّاء**، ج 2، ص ص 720-721.

[51] **معرفة القرّاء الكبار**، ج 2، ص ص 720-721.

[52] هو أبو بكر مجد الدّين بن محمّد بن القاسم المرسي التّونسي الشّافعي، نزيل دمشق، ولد بتونس سنة (656هـ/1258م)، ثمّ قدم مصر، فدمشق، توفّي سنة (718هـ/1318م). **معجم الشّيوخ**، ج2، ص 417؛ **معرفة القرّاء الكبار**، ج 2، ص ص 741-742.

[53] هو أبو عبد الله موفّق الدّين محمدّ بن أبي العلاء بن علي بن المبارك، الأنصاري النّصيبي الشّافعي الصّوفي، شيخ الصّوفيّة والقرّاء ببعلبك، ولد سنة (617هـ/1318م) بنصّيبين، أخذ عنه الذّهبي أيضا فنّ التّجويد، والحاجبيّة في النّحو، توفّي الشّيخ سنة (695هـ/1295م). **معرفة القرّاء الكبار**، ج 2، ص ص 710-711.

[54] هو أبو عبد الله شمس الدّين محمّد بن منصور بن موسى، الحلبي الحاضري الشّافعي، ولد سنة (632هـ/1234م)، قرأ عليه الذّهبي، وابن غدير الواسطي، توفّي سنة (700هـ/1300م). **معجم الشّيوخ**، ج2، ص 290؛ **معرفة القرّاء الكبار**، ج 2، ص ص 711-712.

[55] هو أبو القاسم وأبو حفص ناصر الدّين عمر بن عبد المنعم بن عمر عبد الله بن غدير الطّائي الدّمشقي، المعروف بابن القوّاس، ولد سنة (605هـ/1208م)، توفّي سنة (698هـ/1298م). الذّهبي: **معجم الشّيوخ**، ج1، ص 125.

[56] هو أبو عبد الله شمس الدّين محمّد بن عبد العزيز بن أبي عبد الله بن صدقة، الدّمساطي، الدّمشقي، الشّافعي، ولد في حدود سنة (620هـ/1223م)، توفّي سنة (693هـ/1294م). الذّهبي: **معجم الشّيوخ**، ج2، ص 218؛ الذّهبي: **معرفة القرّاء الكبار**، ج 2، ص 707-709.

[57] يذكر الذّهبي في كتابه معرفة القرّاء الكبار، أنّ الشّيخ أبا عبد الله شمي الدّين محمّد بن أحمد بن علي الرقي الدمشقي الحنفي الأعرج، هو من أخذ مكانه في حلقة الإقراء هذه، عندما سافر إلى بعلبك سنة (693هـ/1294م)، بما نصّه:" ... ولمّا سافرت إلى بعلبك سنة ثلاث وتسعين... وثب على حلقتي لكوني لم لأستأذن الحاكم في الغيبة..." **معرفة القرّاء الكبار**، ج 2، ص ص 753-754.

[58] أنظر: المصدر نفسه، ج 2، ص 709؛ عوّاد معروف: المرجع السّابق، ص 79.

[59] شمساساني: المرجع السّابق، ص ص 53-54؛ عوّاد معروف: المرجع السّابق، ص 80.

[60] هو أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد اللّطيف بن محمّد بن عبد الله بن وريدة، البغدادي الحنبلي المقرئ البزّاز، ولد سنة (599هـ/1202م)، أو قبلها بسنة، توفّي سنة (697هـ/1297م)، وممّا منع الذّهبي من الرّحلة إلى هذا الشّيخ أيضا، سماعه في أوائل سنة وفاته، أنّه قد هرم وتغيّر. أنظر: الذّهبي: **معجم الشّيوخ**، ج1، ص 366.

[61] هو أبو محمّد مكين الدّين عبد الله بن منصور بن علي اللّخمي الإسكندراني، المعروف بالمكين الأسمر، مقرئ الإسكندريّة، توفّي سنة (692هـ/1293م). انظر: **معرفة القرّاء الكبار**، ج 2، ص ص 688-689؛ **تذكرة الحفّاظ**، ج 4، ص 1476.

[62] عواد معروف: المرجع السّابق، ص 82.

[63] **معرفة القرّاء الكبار**، ج 2، ص ص 710-711.

[64] هو أبو إسحاق شرف الدّين يحيى بن أحمد بن عبد العزيز بن عبيد الله بن عبد الباقي ابن الصّوّاف، الجذامي، الإسكندراني، المالكي، ولد سنة (609هـ/1212م)، توفّي سنة (705هـ/1305م). **معرفة القرّاء الكبار**، ج 2، ص ص 697-698؛ **معجم الشّيوخ**، ج2، ص 367.

[65] ربّما تكون السّنة التي ذهب فيها الذّهبي للأخذ عن هذا الشّيخ هي سنة (696هـ/1296م)، باعتبار أنّه ذكر أنّ عمر الشّيخ كان سبعة وثمانين سنة حين التحق به، وأنّ مولد شيخه سنة (609هـ/1212م). أنظر: **معرفة القرّاء الكبار**، ج 2، ص 687.

[66] المصدر نفسه، ج2، ص 687.

[67] هو شمس الدّين محمّد بن أحمد بن علي بن غدير، المقرئ المجوّد، الواسطي، ولد سنة (670هـ/1271م)، أو قبلها، توفّي سنة (739هـ/1338م). انظر: الذّهبي: **معجم الشّيوخ**، ج2، ص 149.

[68] هو جمال الدّين أبو الحجّاج، يوسف بن زكي الدّين عبد الرّحمن بن يوسف، الكلبي، القضاعي، المِزّي، الدّمشقي، الشّافعي، ولد سنة (654هـ/1256م) بظاهر حلب، اهتمّ بالقرآن والعربيّة والتّصريف، وصفه الذّهبي بأنّه محدّث الإسلام، توفّي سنة (742هـ/1341م). المصدر نفسه، ج2، ص 389.

[69] هو تقي الدّين أبو العبّاس، احمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام بن تيميّة، الحرّاني، ولد سنة (661هـ/1262م) بحرّان، ثمّ قدم دمشق سنة (667هـ/1268م)، سمع منه الذّهبي جزء من مصنفاته، وجزء ابن عرفة، وكان شديد الإعجاب به، لدرجة جعلته يصفه بأنّه:" فريد العصر عِلْماً ومعْرفة وذكاءً وحفْظاً وكرماً وزُهْداً وفرط شجاعة وكثرة تآليف والله يصلحه ويسدّده، فلَسْنَا بحمد الله مِمَّنْ نَغْلُو فيه ولا نجفو عنه، ما رُئِيَ كامِلاً مثْل أئمة التابِعين وتابِعيهم فما رأيتُهُ إلاّ بِبَطْنِ كِتَابٍ"، توفّي سنة (728هـ/1327م). أنظر: المصدر نفسه، ج2، ص 389.

[70] هو علم الدّين أبو محمّد، القاسم بن بهاء الدّين محمّد بن يوسف، البرزالي، الإشبيلي، الدّمشقي، الشّافعي، ولد سنة (665هـ/1266م)، سمع منه الذهبي سنة (694هـ/1294م)، توفّي سنة (739هـ/1338م). انظر: المصدر نفسه، ج2، ص 115.

[71] عوّاد معروف: المرجع السّابق، ص ص 90-91.

[72] هو تاج الدّين أبو محمّد، عبد الخالق بن عبد السّلام بن سعيد بن علوان، المعري، البعلبكّي، الشّافعي، ولد سنة (603هـ/1206م)، ولّي قضاء بعلبك، وقد اتّصف بالزّهد والصّلاح، توفّي سنة (696هـ/1296م).أنظر: **الوافي في الوفيات**، ج 1، ص ص 2554-2555.

[73] هو علاء الدّين أبو سعيد، سُنْقُر بن عبد الله الأرمني، الحلبي، القَضَائي، الزّيني، الأستاذي، مولى قاضي القضاة زين الدّين بن الأستاذ، وكان قد اشتراه هذا الأخير سنة (624هـ/1227م)، وعمره خمس سنين، سمع من عدد من الشّيوخ، منهم بهاء الدّين بن شدّاد، توفّي سنة (706هـ/1306م). أنظر: الذّهبي: **معجم الشّيوخ**، ج1، ص 276.

[74] عوّاد معروف: المرجع السّابق، ص 83.

[75] استطاع بشّار عوّاد معروف، أن يحدّد زمن رحلة الذّهبي إلى مصر، على أنّها كانت ما بين (رجب وذي القعدة 695هـ/1295م)، استنادا إلى عدّة معطيات، شرحها في كتابه. انظر: عوّاد معروف: المرجع السّابق، ص ص 84-85.

[76] المرجع نفسه، ص ص 84-87.

[77] هو جمال الدّين أبو العبّاس، أحمد بن محمّد بن عبد الله، الحلبي، المعروف بابن الظّاهري، نزيل القاهرة، ولد سنة (626هـ/1229م)، سمع من أزيد من سبعمائة شيخ، منهم الشّيخ أبو عبد الله الفاسي، توفّي سنة (696هـ/1296م)، وقد ذكر الذّهبي أنّه ودّعه في ذي القعدة سنة 695هـ. أنظر: الذّهبي: **معجم الشّيوخ**، ص 10.

[78] هو شهاب الدّين، أبو المعالي، أحمد بن إسحاق بن محمّد، الهمداني، المصري، الأبرقُوهِي، ولد سنة (615هـ/1218م)، توفّي سنة (701هـ/1301م) بمكّة. أنظر: المصدر نفسه، ج1، ص 37.

[79] هو تقي الدّين أبو الفتح، محمّد بن علي بن وهب بن مطيع، الهزي، المنفلوطي، المصري، الصّعيدي، المالكي، الشّافعي، المعروف بابن دقيق العيد، قاضي القضاة بمصر، ولد سنة (625هـ/1228م)، توفّي سنة (702هـ/1302م)، ترك العديد من التّصانيف منها كتاب الإمام في الأحكام، وشرح العمدة، وغيرها من الكتب، وقد ذكر الذّهبي أنّه روى عن شيخه هذا حوالي عشرين حديثا. أنظر: الذّهبي: **معجم الشّيوخ**، ج1، ص 359؛ الذّهبي: **تذكرة الحفّاظ**، ج 4، ص 1481.

[80] هو شرف الدّين أبو محمّد، عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف، الدّمياطي، التّوني، الشّافعي، ولد سنة (613هـ/1216م)، كان من كبار الأئمّة، متقنا للفقه، طالبا وناقدا للحديث، ممّن روى عنه علم الدّين البرزالي، وتقي الدّين السّبكي، توفّي سنة (705هـ/1305م). الذّهبي: **معجم الشّيوخ**، ج1، ص 424؛ الذّهبي: **تذكرة الحفّاظ**، ج 4، ص 1477.

[81] سبقت الإشارة إليه، عند الحديث عن الوعد الذي قطعه الذّهبي لوالده ألا تتجاوز مدّة رحلته أربعة أشهر.

[82] هو تاج الدّين أبو الحسن، علي بن أحمد بن عبد المحسن الهاشمي الحسيني الواسطي الغرّافي الإسكندراني، ولد سنة (628هـ/1230م)، توفّي سنة (704هـ/1304م). الذّهبي: **معجم الشّيوخ**، ج2، ص 12؛ عوّاد: المرجع السّابق، ص ص 85-87.

[83] هو أبو عبد الله محمّد بن عبد المحسن بن أبي الحسن بن عبد الغفّار، ابن الخرّاط، الأزجي، الحنبلي، ولد سنة (638هـ/1240م)، قدم إلى دمشق في السّنة التّي ذهب فيها الذّهبي إلى الحجّ، توفّي سنة (728هـ/1327م). أنظر: المصدر نفسه، ج2، ص 225.

[84] هو أبو عمرو فخر الدّين عثمان بن محمّد بن عثمان بن أبي بكر، المغربي، التّوزري، المصري، المالكي، ولد سنة (630هـ/1232م) بالفيّوم، وجاور بمكّة، وتوفّي سنة (713هـ/1313م). انظر: المصدر نفسه، ج1، ص 437؛ وأنظر أيضا: **معجم المحدّثين**، ج 1، ص 97.

[85] عوّاد: المرجع السّابق، ص ص 87-88.

[86] تولّى الذّهبي العديد من المناصب، منها الخطابة بمسجد كفر بطنا سنة (703هـ/1303م)، وفي سنة (718هـ/1318م)، تولّى التّدريس في دار الحديث المعروفة بتربة أمّ الصّالح بدمشق، بعد وفاة الشّيخ كمال الدّين أحمد بن الشريشي الوائلي، واستمرّ الذّهبي في التّدريس فيها إلى حين وفاته، كما تولّى أمر دار الحديث الظّاهريّة سنة (729هـ/1328م)، كما تولّى العديد من دور ومدارس الحديث في دمشق، أهمّها: المدرسة النّفيسيّة، دار الحديث والقرآن التّنكزيّة، دار الحديث الفاضليّة، ومن خلال المناصب العلميّة التّي شغلها الرّجل، نستشف قيمته العلميّة، بين علماء ومشايخ عصره. أنظر: أبو الفداء إسماعيل بن

عمر بن كثير القرشي: **البداية والنهاية**، ج 14، دط، مكتبة المعارف، بيروت، دت، ص 28، 88، 143، 225، وهنا وهناك؛ عبد القادر بن محمّد النّعيمي الدّمشقي: **الدّارس في تاريخ المدارس**، ج 1، تحقيق: إبراهيم شمس الدّين،ط 1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1410، ص 158، وهنا وهناك؛ **ذيل تذكرة الحفّاظ**، ج 1، ص 36؛ عوّاد معروف: المرجع السّابق، ص ص 96-100.

[87] أنظر: **طبقات الحفّاظ**، ج 1، ص 35، 522؛ **طبقات الشّافعيّة الكبرى**، ج 9، ص ص 104-105؛ عوّاد معروف: المرجع السّابق، ص ص 88- 89، 128، وما بعدها من صفحات.

[88] **طبقات الشّافعية الكبرى**، ج 9، ص 103.

[89] هو أحمد بن إبراهيم بن سالم بن داود المنبجي، المشهور بابن الطّحان نسبة إلى زوج أمّه الذي ربّاه بعد وفاة أبيه، ولد سنة (703هـ/ 1303م) قرأ القراءات على الذّهبي، توفي سنة (782هـ/ 1380م)، له كتاب حول الطّاعون، كتبه في طاعون سنة (764هـ/1362م). أنظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **أنباء الغمر**، ج 1، المكتبة الشّاملة، ص 80؛ **شذرات الذّهب**، ج 3، ص 236.

[90] هو شمس الدّين محمّد بن احمد بن جامع الدّمشقي، المعروف بابن اللّبان المقرئ، ولد سنة (710هـ أو 713هـ/ 1310م أو 1313م)، سمع كتاب طبقات القراء على الذّهبي، توفي سنة (776هـ/ 1374م). أنظر: **أنباء الغمر**، ج 1، ص 30؛ **ذيل التقييد**، ج 1، ص 57.

[91] هو صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أيبك، الصفدي، ولد سنة (696هـ أو 699هـ/ 1296 أو 1299م)، سمع من يونس الدبابيسي، وسمع من الذهبي، وسمع الذهبي منه، توفي سنة (764هـ/ 1362م). أنظر: الذهبي: **معجم المحدثين**، ج 1، ص ص 91-92؛ الذهبي: **العبر**، ج 1، ص 327.

[92] هو تاج الدين أبو نصر عبد الوهّاب بن علي بن عبد الكافي السبكي الشّافعي، ولد سنة (727هـ/ 1326م)، بالقاهرة، قرأ بمصر، ثمّ انتقل إلى دمشق مع والده سنة (739هـ/1338م)، فسمع بها من الحافظ المزي، وشمس الدّين بن النّقيب، والحافظ الذّهبي، كان مدرّسا، قاضيا، وخطيبا، توفّي سنة (769هـ/1367م). أنظر: أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن علي الشيرازي: **طبقات الفقهاء**، ج 1، تحقيق: خليل الميس، دط، دار القلم، بيروت، د ت، ص 275؛ عبد الحي بن أحمد العكري الدّمشقي: **شذرات الذّهب في أخبار من ذهب**، ج 3، دط، دار الكتب العلميّة، بيروت، د ت، ص 221.

[93] هو تقي الدّين أبو المعالي محمّد بن رافع بن هجرس، السلاّمي، العميدي، المصري، الدّمشقي، الشّافعي، نزيل دمشق، ولد سنة (704هـ/1304م)، توفي سنة (774هـ/1372م). أنظر: السيوطي: **طبقات الحفاظ**، ص ص 538-539؛ **شذرات الذّهب**، ج 3، ص 234.

[94] هو عماد الدّين إسماعيل بن عمر بن كثير البصري، الدّمشقي، الشّافعي، ولد سنة (700هـ/1300م)، وقدم دمشق سنة (706هـ/1306م)، توفّي سنة (774هـ/1372م). أنظر: **شذرات الذّهب**، ج 3، ص 231.

[95] هو زين الدّين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ شهاب الدّين أبي العبّاس أحمد بن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي، كان حافظا، عمدة، ثقة، وحجّة، كانت وفاته سنة (795هـ/1392م)، له مصنّفات عديدة منها شرح جامع الترمذي، وشرحا على صحيح البخاري. أنظر: محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي: **الرد الوافر**، تحقيق : زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، 1393، ص ص 106-107.

[96] هو شمس الدّين محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن رضوان الموصلي الشّافعي، نزيل دمشق، ولد في بداية القرن الثّامن الهجري، كان ذا معرفة بالفقه واللّغة، والعربيّة، خطيبا، شاعرا، له عدد من النّظم والقصائد، توفي سنة (774هـ/1372م). أنظر: **شذرات الذّهب**، ج 3، ص 236.

[97] عواد معروف: المرجع السّابق، ص، ص 105، 106، 120، 121.

[98] في الليلة التي توفّي فيها الذّهبي، التقى بالسبكي والد صاحب كتاب طبقات الشّافعيّة الكبرى، قبل وقت المغرب، فاستفتاه إن كان يجوز له أن يجمع بين المغرب والعشاء تقديما، فأفتاه السّبكي بذلك، فتوفّي الذّهبي بعد العشاء قبل منتصف اللّيل بقليل. أنظر: **طبقات الشّافعيّة الكبرى**، ج 9، ص ص 105-106.

[99] كان الذّهبي قد أضرّ وذهب عنه بصره منذ سنة (741هـ/1340م). أنظر: **ذيل تذكرة الحفّاظ**، ج 1، ص 36.

[100] قبل يومين أو ثلاث من وفاته، بعث الذّهبي بقصيدة إلى الشّيخ تقي الدّين السّبكي، مع ابنه تاج الدّين السّبكي، قال له فيها:

تقي الدين يا قاضي الممالك ... و من نحن العبيد وأنت مالك
بلغت المجد في دين ودنيا ... ونلت من العلوم مدى كمالك
ففي الأحكام أقضانا علي ... وفي الخدام مع أنس بن مالك
وكابن معين في حفظ ونقد ... وفي الفتيا كسفيان ومالك
وفخر الدين في جدل وبحث ... وفي النحو المبرد وابن مالك

طبقات الشّافعيّة الكبرى، ج 9، ص 106.

[101] ابن كثير: **البداية والنّهاية**، ج 14، ص 225.

[102] عواد معروف: المرجع السابق، ص ص 128-130.

[103] عواد معروف: المرجع السابق، ص ص 131، 133- 134، 139- 143.

[104] المرجع نفسه، ص 199 وما بعدها من صفحات.

[105] المرجع نفسه، ص ص 143 وما بعدها من صفحات. وللمزيد من المعلومات حول كتب الحافظ الذّهبي أنظر: **طبقات الحفاظ**، ص 522؛ **طبقات الشّافعيّة الكبرى**، ج 9،

ص ص 104-105؛ مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي: **كشف الظنون**، ج1، دط، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1413- 1992، ص 29، وهنا وهناك.

[106] هو الحافظ جلال الدّين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّد بن ساق، الخضيري، السّيوطي، الشّافعي، ولد سنة (849هـ/1445م)، توفي سنة (911هـ/1505م). أنظر: **شذرات الذّهب**، ج 4، ص ص 51-52.

[107] السيوطي: **طبقات الحفاظ**، ص ص 521- 522.

[108] ابن كثير: **البداية والنّهاية**، ج 14، ص 225.

[109] هو الحافظ، شهاب الدّين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمّد ابن حجر الكناني، العسقلاني، المصري، الشّافعي، ولد سنة (773هـ/1371م)، عني بالأدب والشّعر، والحديث، فبرع في هذا الأخير، حتّى وصل درجة كبيرة من الحفظ، له مؤلّفات عديدة منها الإصابة في تمييز الصّحابة، وتعجيل المنفعة برجال الأربعة، وكانت وفاته سنة (852هـ/1448م). أنظر: السّيوطي: **طبقات الحفّاظ**، ص ص 552-553.

[110] المصدر نفسه، ص 522.

[111] رغم كلّ المديح والثّناء الذي أبداه السّبكي نحو شيخه الذّهبي، واعترافه بفضله عليه، إلاّ أنّنا نجده يبالغ من جهة أخرى في نقده، إذ يقول :" وكان شيخنا والحق أحق ما قيل والصدق أولى ما آثره ذو السبيل، شديد الميل إلى آراء الحنابلة، كثير الإزراء بأهل السنة، الذين إذا حظروا كان أبو الحسن الأشعري فيهم مقدم القافلة، فلذلك لا ينصفهم في التراجم، ولا يصفهم بخير إلا وقد رغم منه أنف الرّاغم". أنظر: **طبقات الشّافعية الكبرى**، ج 9، ص 103.

[112] المصدر نفسه، ج 9، ص 100.

[113] المصدر نفسه، ج 9، ص 101.

[114] المصدر نفسه، ج 9، ص 109.

[115] المصدر نفسه، ج 9 ص ص 110-111.

[116] **الوافي في الوفيات**، ج 1، ص 217.

[117] هو شمس الدّين أبو المحاسن، محمّد بن علي بن الحسن بن حمزة، الحسيني، الدّمشقي، الشّافعي، المعروف بابن حمزة من سلالة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولد سنة (715هـ/1315م)، وكان من كبار الحفّاظ والمحدّثين في وقته، حتّى أطلق عليه الحافظ النّاقد، وجمال المحدّثين، توفّي سنة (765هـ/1363م)، له تآلبف عديدة منها " العرف الذكي في النسب الزكي، و"الاكتفا في الضعفا"، و" أسامي رجال الأئمّة السّتّة"، وغيرها من المصنّفات. أنظر: **الردّ الوافر**، ص 55.

[118] **ذيل تذكرة الحفّاظ**، ج 1، ص ص 34- 35.

[119] هو شمس الدّين أبو عبد الله، محمّد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمّد، القيسي، الدّمشقي، المعروف بابن ناصر الدّين الشّافعي، وقيل الحنبلي، ولد بدمشق سنة

(777هـ/1375م)، نشأ في دمشق وحفظ القرآن، وطلب الحديث بها، وتعلّم العربيّة والفقه، قرأ على عدد من شيوخ دمشق، منهم أبو هريرة بن الحافظ الذّهبي، وابن حجر العسقلاني، بلغ ابن ناصر الدّين مرتبة كبيرة من الحفظ، والعلم، حتّى أطلق عليه حافظ دمشق، وحافظ الشّام، توفّي سنة (842هـ/1438م)، خلّف عددا من المؤلّفات منها: توضيح مشتبه الذّهبي، وعقود الدرر في عقود الأثر، وهي قصيدة في أنواع علوم الحديث، والسّالك في رواية الموطّأ عن مالك، وغيرها من التّآليف. أنظر: **شذرات الذّهب**، ج 4، ص ص 243-244.

[120] ابن ناصر الدّين الدّمشقي: **الرد الوافر**، ص 31.

[121] المصدر نفسه، ج 1، ص 32.

[122] شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذّهبي: **المغني في الضّعفاء**، تحقيق: نور الدّين عتر، دط، اعتني بطبعه ونشره: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إحياء التراث الإسلامي، قطر، دت.

[123] شمس الدّين محمّد بن أحمد الذّهبي: **ميزان الاعتدال في نقد الرّجال**، ج 1، تحقيق: علي محمّد معوض- عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1995، ص ص 109، 113- 114.

[124] المصدر نفسه، ج 1، ص 114.

[125] **ميزان الاعتدال**، ج 1، ص 114.

[126] محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذّهبي: **ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق**، تحقيق: محمّد شكور أمرير الميادیني، ط1، مكتبة المنار، الزّرقاء، 1406، ص 27.

[127] عواد معروف: المرجع السّابق، ص ص 158-159.

[128] **طبقات الشّافعيّة الكبرى**، ج 9، ص 108.

[129] **ميزان الاعتدال**، ج 1، ص 113؛ **المغني في الضّعفاء**، ج 1، ص 34؛ **ذكر أسماء من تكلم فيه**، ج 1، ص 28.

[130] هناك اختلاف في هذا الرّمز بين هذه الكتب الثّلاثة، ففي ميزان الاعتدال ذكر أنّ الرمز هو (هو)، أمّا في كتابه " من تكلم فيه"، فذكر أنّ الرّمز هو (على)، وفي " المغني" جعله (عه).

أنظر: **ميزان الاعتدال**، ج1، ص 113؛ **ذكر أسماء من تكلم فيه**، ص 28؛ **المغني في الضّعفاء**، ج 1، ص 5.

[131] **المغني في الضّعفاء**، ج 1، ص 36.

[132] شميساني: المرجع السّابق، ص 121.

[133] أبو عبد الله محمّد بن أحمد الذّهبي: **الكاشف**، ج 1، تحقيق: محمّد عوامة، ط 1، دار القبلة للثّقافة الإسلاميّة، مؤسّسة علو، جدّة، 1413- 1992، ص 189.

[134] عوّاد معروف: المرجع السّابق، ص ص 417، وما بعدها.

[135] عوّاد معروف: المرجع السّابق، ص 425- 427.

[136] المرجع نفسه، ص ص 112، 115.
[137] **تذكرة الحفّاظ**، ج 1، ص ص 66-67.
[138] **ميزان الاعتدال**، ج 1، ص 117.
[139] عوّاد معروف: المرجع السّابق، ص ص 411، وما بعدها من صفحات.
[140] **ميزان الاعتدال**، ج 1، ص 119.
[141] **معرفة القرّاء الكبار**، ج 1، ص ص 280-281.
[142] الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج 5، ص 114.
[143] **ميزان الاعتدال**، ج 1، ص ص 130-131.
[144] المصدر نفسه، ج 5، ص 168؛ عواد معروف: المرجع السابق، ص ص 113-114.
[145] المصدر نفسه، ج 1، ص 112.
[146] المصدر نفسه، ج 1، ص 112.
[147] **تذكرة الحفّاظ**، ج 3، ص ص 993-994.
[148] عواد معروف: المرجع السّابق، ص 118.
[149] الذهبي: **معجم الشيوخ**، ج1، ص 366.
[150] عواد معروف: المرجع السابق، ص 271.
[151] شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ج1، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1407- 1987، ص ص 11 - 12.
[152] عواد معروف: المرجع السابق، ص ص 271، 274.
[153] المرجع نفسه، ص ص 298، وما بعدها من صفحات؛ الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج 2، ص ص 92، وهنا وهناك.
[154] عواد معروف: المرجع السابق، ص ص 343- 344؛ الذهبي: **تاريخ الإسلام**.
[155] المرجع نفسه، ص ص 316- 317.
[156] المرجع نفسه، ص ص 335- 336.
[157] الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج 1، ص 12.
[158] المصدر نفسه، ج 1، ص ص 17، وما بعدها من صفحات.
[159] الذهبي: **تاريخ الإسلام**؛ عواد معروف: المرجع السابق، ص ص 319- 325.
[160] المرجع نفسه، ص ص 330- 332.
[161] المرجع نفسه، ص ص 366، وما بعدها من صفحات.
[162] الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج 1، ص ص 12- 13.
[163] المصدر نفسه، ج 1، ص ص 12- 14.
[164] المصدر نفسه، ج 1، ص ص 55- 56.
[165] المصدر نفسه، ج 1، ص ص 56- 57.

[166] المزي: **تهذيب الكمال**، ج 17، ص ص 335- 337.
[167] أنظر: ابن سعد: **الطبقات**، ج 6، ص 363؛ الذهبي: **الكاشف**، ج 2، ص 402.
[168] أنظر: المزي: **تهذيب الكمال**، ج 33، ص 144؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **تهذيب التّهذيب**، ج 12، ط1، دار الفكر، بيروت، 1404- 1984، ص 42.
[169] أنظر عنه: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصّحابة**، ج 4، ط1، تحقيق: علي محمّد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412، ص ص 211- 212.
[170] الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج 1، ص 57.
[171] المصدر نفسه، ج 1، ص ص 57- 60.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا- المصادر:

1. ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمّد بن محمّد بن علي: **الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة**، ج 5، تحقيق: محمّد عبد المعيد خان، ط2، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، حيدر أباد- الهند، 1972.
2. ------ : **تهذيب التّهذيب**، ط1، دار الفكر، بيروت، 1404- 1984.
3. ------ : **الإصابة في تمييز الصّحابة**، ج 4، ط1، تحقيق: علي محمّد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412.
4. - ----- : **أنباء الغمر**، ج 1، المكتبة الشّاملة.
5. الحسيني الدّمشقي أبو المحاسن محمّد بن علي بن الحسن بن حمزة: **ذيل تذكرة الحفّاظ**، ج1، تحقيق: حسام الدّين القدسي، دط، دار الكتب العلميّة، بيروت، دت.
6. الحموي ياقوت بن عبد الله: **معجم البلدان**، ج 5، دط، دار الفكر، بيروت، دت.
7. الذّهبي أبو عبدالله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز: **معجم المحدّثين**، ج1، تحقيق: محمّد الحبيب الهيلة، ط1، مكتبة الصّديق، الطّائف، 1408.
8. --------- : **سير أعلام النّبلاء**، ج 23، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- محمّد نعيم العرقسوسي، ط9، دار الرّسالة، بيروت، 1413.

9. ------- : **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، ج 2، تحقيق : بشار عواد معروف - شعيب الأرناؤوط - صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1404.
10. ------ : **تذكرة الحفّاظ**، ج 4، تحقيق: حمدي عبد الحميد إسماعيل، ط1، دار الصميعي، الرّياض، 1415.
11. ------ : **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ج1، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1407- 1987.
12. - ----- : **ميزان الاعتدال في نقد الرّجال**، ج 1، تحقيق: علي محمّد معوض- عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1995.
13. ------- : **المعني في الضّعفاء**، تحقيق: نور الدّين عتر، دط، اعتني بطبعه ونشره: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إحياء التراث الإسلامي، قطر، دت.
14. ------ : **ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق**، تحقيق: محمّد شكور أمرير الميادیني، ط1، مكتبة المنار، الزّرقاء، 1406.
15. ------ : **الكاشف**، ج 1، تحقيق: محمّد عوامة، ط 1، دار القبلة للثّقافة الإسلاميّة، مؤسّسة علو، جدّة، 1413- 1992.
16. الذهبي : **معجم الشّيوخ الكبير**، تحقيق: محمّد الحبيب الهيلة، ط1، مكتبة الصديق، الطائف- المملكة العربية السعودية، 1408- 1988.

17. السبكي أبو نصر عبد الوهّاب بن علي بن عبد الكافي: **طبقات الشّافعيّة الكبرى**، ج1، تحقيق: عبد الفتاح محمّد الحلو- محمود محمّد الطناحي، ط2، هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع والإعلام، الجيزة، 1992.
18. السّيوطي عبد الرحمن أبو الفضل بن أبي بكر: **طبقات الحفّاظ**، ج1، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1403.
19. الشيرازي أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن علي: **طبقات الفقهاء**، ج 1، تحقيق: خليل الميس، دط، دار القلم، بيروت، د ت.
20. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله: **الوافي بالوفيات**، ج9، تحقيق: أحمد الأورناؤوط وتركي مصطفى، دط، دار إحياء التراث، بيروت، 1420- 2000.
21. ابن كثير القرشي أبو الفداء إسماعيل بن عمر: **البداية والنهاية**، ج 14، دط، مكتبة المعارف، بيروت، دت.
22. العكري الدّمشقي عبد الحي بن أحمد: **شذرات الذّهب في أخبار من ذهب**، ج 3، دط، دار الكتب العلميّة، بيروت، د ت.
23. الفاسي أبو الطّيّب محمّد بن أحمد: **ذيل التقييد**، ج 2، ط1، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1410.
24. القسطنطيني الحنفي مصطفى بن عبد الله: **كشف الظنون**، ج1، دط، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1413- 1992.
25. ابن ناصر الدين الدمشقي محمد بن أبي بكر: **الرد الوافر**، تحقيق : زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، .1393.

26. النّعيمي الدّمشقي عبد القادر بن محمّد: **الدّارس في تاريخ المدارس**، ج 1، تحقيق: إبراهيم شمس الدّين،ط 1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1410.

المراجع:

1. عوّاد معروف بشّار: **الذّهبي ومنهجه في كتاب تاريخ الإسلام**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1429- 2008.
2. شميشاني حسن: **أعلام مؤرّخي العرب والإسلام الحافظ شمس الدّين الذّهبي أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز 673- 748 هـ/ 1274-1348م**، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، 1441- 1990.